THE BOOK WAS DRENCHED



الزراعة القديمة المصرية

بحث اثري تاريخي زراعي

مزينة بالرسوم والصور

« مصر هدية من النيل »
هيرودوتس

تأليف

شكري صادق

سكرتير جناب وكيل وزارة الزراعة بمصر

يطلب من ملتزم طبعه ونشره
نجيب متري
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر
١٩١٦

« ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيعَ
فى الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يَهيج
فتراه مصفرًّا ثم يجعله حطاماً إن فى ذلك لذكرى
لأولى الألباب » — قرآن كريم —



عظمة السلطان الكامل حسين الأول

« لمصر ثلاث مزايا وهي :
نيلها ، وشمسها ، وفلاّحها »
- السلطان حسين الاول -

اهداء الكتاب

الى أعتاب صاحب العظمة

مولانا السلطان الكامل حسين الأول

مولاي

أتشرّف بأن أهدي الى مقامكم المرفّع ، هذا الكتاب الذي له عند فضلكم خير شفيع مشفّع ، فلقد كنتم وما زلتم أعزّكم الله أبا الفلاح ، كما كنتم وما زلتم له مصدر كل تقدّم وفلاح ، وهذا سفر جمع تاريخ الزراعة ، وكشف النقاب عن الأدوار التي تقلّبت فيها تلك الصناعة ، فكان في موضوعه ما يبيح لي التجرّؤ على سدّتكم المنيعة ، بهذه التقدمة الوضيعة ، فإن حظيت من لذن عظمتكم بأدنى القبول ، فهو نهاية الأرب وغاية المأمول ؛ أطال الله بقاءكم مدى الأيام ، وأدام لرعيّتكم المخلصة نصركم وتأييدكم على الدوام ؟

العبد الخاضع

شكري صادق

عرضتُ هذا الكتاب على بعض من كبار رجال التاريخ والزراعة لأعرف رأيهم فيه فتفضل ثلاثة منهم وهم حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء وجناب المستر چرالد س . ددچن مستشار وزارة الزراعة بمصر وحضرة صاحب العزّة عبد الحميد بك فتحي مدير إدارة التعليم الزراعي بالوزارة المذكورة بكتابة كلمات عليه ونحن ننشرها هنا بنصّها مع الشكر الجزيل لأصحابها :

كلمة سعادة احمد زكى باشا :

عرفتُ واضع هذا الكتاب منذ زمان طويل وهو يتردّد على خزانة كتبي للدرس والبحث والاستفادة . وليس هذا الكتاب بأوّل ما ألّف بل هو لا يزال من حين إلى حين يُطرِف قومه بأثر جديد وبحث طريف . وعندى أن اجتهاده سيصل به — إن شاء الله — فى يوم من الأيام إلى المنزلة التى أتمنّاها له ولجميع فِتيان الشبيبة العاملين : مناط الآمال فى ارتقاء هيئتنا المصرية وفى إحلالها المكانة اللائقة بها . الخليقة بأجدادنا الكرام وأسلافنا الأمجاد

ولستُ أقول انه قارب الكمال فى هذا المبحث الذى لم يسبقه اليه كاتب عربىّ : لأنَّ مواطنَ العثرات فى أشباه هذه الموضوعات كثيرةٌ . ولأنَّ باب التحقيق واسع ومتشعّب . ولأن تمادى الزمان قد طمس كثيرًا من المعالم التى يهتدى بها المسترشدون كما أن كثيرًا من الأشجار المصرية

قد انعدم من بلادنا . مثل اللبخ (صفحة ١١٥ من هذا الكتاب) فقد كان نوعه المثمر — وهو غير المعهود فى أيامنا — موجوداً بكثرة على عهد الفراعنة ثم صار إلى القِلّة فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ولما فتح المسلمون مصر كان فيها من النوادر ثم أخذ يتلاشى . فقد ذكر عبد اللطيف البغدادى (المتوفى سنة ٦٦٨ هجرية) ان « الباقى منهِ شجرات معدودات » . وما زالت هذه الشجرات تنعدم واحدة بعد واحدة حتى انقطع مرة واحدة فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون . كما أشار اليه النويرى (المتوفى بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ) فى كتابه الحافل « نهاية الأرب فى فنون الأدب » . فقد ذكر هذه الحادثة وعرّفنا أنه أكل من ثمر اللبخ قبل أن يزول من مصر

فإذا كانت قدم المؤلف قد زلّت به فى موضع أو فى مواضع . فالأعذار متضافرة على الشفاعة له . ناهيك بأن الخلاف خطبه كبير بين فحول العلماء فى تطبيق الأسماء على المسمَّيات . ومع ذلك فدلائل التمحيص والتنقيب بادية فى كل صفحة من صفحات الكتاب . وهذا — لعمرى — غاية ما يُطلب من المخلص فى عمله

وإنى لأرجو للمؤلف زيادة التوفيق فى التدقيق فى القسم الثانى الذى أخذ على نفسه العهد بتخصيصه للزراعة المصرية فى العصر اليونانى والرومانى والعربىّ . وأملى أن يُوَفّىَ المباحث حقها وأن لا يُغفل المصادر العربية المعتبرة ليُخرج للناس ثمرة ناضجة تجعل كتابه الآتى جديراً بالثقة ونبراساً للمشتغلين بهذه المباحث الطليّة النافعة . إن شاء الله

القاهرة فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٤ هـ (١٢ يناير سنة ١٩١٦)

ترجمة كلمة جناب المستر چرالد س . ددچن :

يمنعني عدم معرفتي اللغة التي وُضع بها هذا المؤلَّف الصغير معرفة كافية من الخوض في موضوعه . غير أن ما قاله لي المؤلِّف نفسه عن مشتملات فصوله يؤكد لي أن فيهِ فوائد تاريخية عظيمة

وان ما بذله المؤلِّف من الجهد لتبيان الحالة التي كانت عليها البلاد في العصور السالفة من الوجهة الزراعية لهو خير مرشد لمزارعي العصر الحالي الى معرفة أصول بعض الطرق التي لا تزال مستعملة و بيان ما أدخل عليها من التعديل أو التحسين في العصور المتأخرة

ولقد تسنّى للمؤلِّف الرجوع الى مصادر قديمة نادرة الوجود والاشارة اليها وهذا مما يجعل لكتابه نفعاً عند من يريد في المستقبل أن يضع تاريخاً وافياً للزراعة في مصر ؟

تحريراً بمصر في ٩ يناير سنة ١٩١٦

أما الأصل الانجليزي فهو :

NOTE

By

Mr. GERALD C. DUDGEON, F. E. S.,

Consulting Agriculturist and late Director-General to the Ministry of Agriculture, Egypt.

Insufficient knowledge of the language in which this little work is written prevents me from discussing the subject matter in a complete manner, but, from the details given me by the author himself of the contents of the various chapters, it is assured that there is much of historical interest contained in its pages.

The efforts of the author to present the condition of the country from an agricultural standpoint in early times should serve as a useful guide to cultivators of the present day to indicate the origin of some of the operations which are still carried on and to show where these have been modified or improved upon in more recent times.

The author has been enabled to give references to several ancient and rare books, and his work should therefore prove of utility to those who may in the future wish to elaborate the historical account of agriculture in Egypt.

Cairo, the 9th January 1916.

كلمة حضرة عبد الحميد بك فتحي :

لقد اطّلعت على كتابك في الزراعة المصرية الذي ألممت فيه بما كانت عليه الزراعة عند سلفنا العظيم فأعجبني منك عنايتك بالموضوع وقدّرت لك جهدك الذي بذلته للوصول الى تقرير المسائل التاريخية على خفـاء وسائلها وقلّة مصادرها

أما وقد استطعت أن تقدّم لاخوانك كتاباً يذكر تاريخ ما بين أيدي الفلاّح اليوم من الآلات والنباتات وما كان يتّبع في زراعة المغلات المصرية التي كانت ولا تزال مورد اثراء تلك الممالك العظيمة — حتى جاء جديراً بأن يُرجع اليـه في المقارنة — فاني أدعو الله أن يوفّقك أنت وأمثالك دائماً للعناية بكل أمر مفيد والسلام ؟

القاهرة في ٩ يناير سنة ١٩١٦

مقدمة

لم يكتب كثير من المؤرخين شيئاً يذكر عن الزراعة المصرية القديمة لا لأنها لا تستحق كثيراً أو قليلاً من اهتمامهم بأمرها أو لأنه كان متعذراً عليهم الحصول على معلومات كافية في هذا الموضوع الجليل بل لمجرّد اعتقادهم ان الزراعة المصرية الحديثة صورة طبق الأصل للزراعة المصرية القديمة ولأن مقابر قدماء وادي النيل ومساطبهم وأهرامهم وهيا كلهم مزينة بكثير من الرسوم والصور المؤيدة لهذا الاعتقاد

أقول هذا لأننا لا نزور في هذه الأيام أثراً من آثار أجدادنا القدماء سواء كانت مقابر أو هياكل الآ ونرى صوراً ورسوماً تمثل الحياة اليومية عند جميع طبقات الأمة المصرية . فبينا نرى فرعون مثلاً جامعاً حوله أمراء البلاد وأعيانها والكاهن محتفلاً بأعياد معبوداته والقائد يؤدب العصاة والصانع يشتغل في مصنعه والتاجر يبيع في حانوته نرى الفلاّح يحرث أرضه ويعزقها ويبذر الحبوب فيها ويطلق الحيوانات الأهلية عليها لتغطيها ثم بعد زمن معلوم يحصد الغلة منها ويدرسها ويخزنها وهلمّ جرّا

وقد رأيت بعد التفكير ان أشتغل بوضع كتاب أجمع فيهِ ما أعثر عليهِ في هذا الموضوع بالكتب والآثار ليكون بمثابة قاموس يرجع اليهِ الباحثون عند الحاجة فشمرت عن ساعد الجد وبذلت غاية الجهد في وضعه وترتيبه حتى جاء حاوياً لأهم ما يحتاج الى معرفته الطالب فى هذا الموضوع ، فان لم يكن كاملاً فلا أقل من أن يكون مفتاحاً للبحث فيه

ولقد اعتمدت في وضعه على مؤلفات بعض شهيري علماء التاريخ والآثار المصرية مثل ولكنصن *Wilkinson* وإرمان *Erman* ورولنصن *Rawlinson* وبدج *Budge* وبريستد *Breasted* وكنريك *Kenrick* وويدمان *Wiedemann* ولپزيوس *Lepsius* ولوريه *Loret* وپتري *Petrie* وبروكش *Brugsch* وماسپرو *Maspero* وأستاذنا الفاضل أحمد كمال بك وكتاب الأثر الجليل للمرحوم أحمد نجيب وقاموس الجغرافيـة القديمة للأستاذ أحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء

والذي وجَّه نظري بنوع خاص الى وضعه هو جناب المستر چرالد ددچن مستشار وزارة الزراعة وذلك بمباحثه الجليـلة في الزراعة المصرية الحديثة والاقتباس فيها من اصول الزراعة القديمة . فضلاً على تشجيعهِ اياي أثناء تأليفه على التوسع فيـه

بقدر الإمكان فله مني على ذلك جزيل الشكر ووافر الثناء

ولست أنسى أن أشكر جناب المسيو لاكو مدير مصلحة الآثار المصرية على المساعدات التي قدمها لي أثناء ترددي على دار التحف للبحث والاستقراء

وها هو كتابي أقدمه اليوم الى حضرات القراء من المولعين بدرس التاريخ والمشتغلين بالعلوم الزراعية آملاً أن يجدوا فيهِ ما يستحق أن يُطالع من أجله والسلام م؟

المؤلف





مصر

مصر قطر زراعي بالطبع ، أقليمه معتدل وتربته خصبة وهواؤه جاف وماؤه عذب وأهله لا سيما المشتغلون منهم بالزراعة والفلاحة لينو العريكة دمثو الأخلاق مطبوعون على الكرم بعيدون عن الفتن ولله درّ العيزاوي فهو القائل :

لعمرك ما مصر بمصر وانما   هي الجنة الدنيا لمن يتبصرُ
فأولادها الولدان والحور عينها   وروضتها المقياس والنيل كوثرُ

ومصر مشهورة فى التاريخ بأنها أقدم البلاد تمديناً وأعرقها حضارةً . ومن حضارتها القديمة استمد الفرس والأغريق والرومان أصول حضاراتهم التي باهوا بها جميع الأمم الراقية

وقد سميت مصر بجملة أسماء عند عدة أمم فعند المصريين كانت تسمى « قميت » و « بق » و « تونهي » و « آن تاوي » وعند الساميين كانت تسمى « مصير » وعند الأشوريين كانت تسمى «موصور» وعند العبرانيين كانت تسمى « ماصور » وعند

الأغارقة كانت تسمى «إچپتوس» ومن الإسم الأخير اشتق الإسم الافرنجي الحديث «إچيپت»

وقد شرَّف سبحانهُ وتعالى مصر بذكرها في ثمانية عشر موضعاً من كتابهِ العزيز. منها قوله تعالى "اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم" وقوله فيما حكاه عن فرعون "أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي" وقولهُ أيضاً "فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم" — وفي ذلك إشارة الى مصر

ومما قاله ابن عباس رضي الله عنهُ "ان مصر سميت بالأرض كلها في عشرة مواضع من القرآن"

ومن أقوال عبد الله بن عمر المأثورة "من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين يخضر زرعها وتنوّر ثمارها"

ومما حفظهُ لنا التاريخ أن الخليفة عمر بن الخطَّاب كتب مرة الى عمرو بن العاص الفاتح الشهير رسالة يسألهُ فيها عن مصر فأجابهُ بقوله

"ورد اليَّ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ويسألني عن مصر، اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر قرية غبراء، وشجرة

خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط وسطها النيل المبارك الغدوات، ميمون الروحات، تجري فيــهِ الزيادة والنقصان، لمجاري الشمس والقمر، له أوان يدرّ حلابه، ويكثر عجاجه، وتعظم أمواجه، فتفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضهـا الى بعض إلاَّ في صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهنَّ المخايل، ورقّ الأصايل، فاذا تكامل في زيادته، نكص على عقبيه، كأوّل ما بدا في جريته، وطمى في درته، فعند ذلك تخرج ملة محقورة، وذمة مخفورة، يحرثون بطون الأرض، ويبذرون بها الحب، يرجون بذلك النماء من الرّب، لقيهم ما سعوا من كدّهم، فناله منهم بغير جدّهم، فاذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى، وغذّاه من تحت الثرى، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، اذا هي عنبرة سوداء، فاذا هي زمردة خضراء، فاذا هي ديباجة زرقاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء، الذي يصلح هذه البلاد وينيرهـا، ويقرّ قاطنها فيها، ان لا يقبل قول خسيسها في رئيسها، وأن لا يستأدي خراج الثمرة الاَّ في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها، في عمل جسورها وتراعها، فاذا تقرّر الحال، مع العمال، في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال، والله تعالى يُوفق الملك والمال"

ولقدكانت مصر فيأغلب العصور كعبة السائحين من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين لاسيما الأغارقة والرومان وكان هؤلاء يحجون اليها رغبة في طلب العلم والحكمة . ومن هؤلاء شيخ المؤرخين هيرودوتس[١] الذي قال وقد وقع نظره على سكان وادي النيل :

« لا يوجد في العالم كله قطر حوى عجائب وأعمالاً يضيق عن وصفها القرطاس كمصر . فليس مناخها وحده مختلفاً عن مناخ بقية الأقطار وأنهارها ممتازة عن سائر الأنهار بل ان أهلها يشذون في أخلاقهم وعاداتهم عن أهالي جميع المدن والأقطار . خذ لك مثلاً النساء فانهنَّ يتوجهنَ الى الأسواق ويتولين بأنفسهنَّ أمور البيع والشراء بينما ينزوي الرجال في البيوت للاشتغال على النول

وعلى ذكر النول نقول انهُ بينما يشتغل الناس عليهِ في جميع الأصقاع بتحريك السداة فوق الخيوط الطويلة يشتغل المصريون بتحريكها تحتها

---

(١) لا يجوز الاعتماد على كل ما كتبه هذا المؤرخ الاغريقي لأنه كأغلب السائحين في جميع العصور كتب تاريخه مما سمعه من أفواه التراجمة (من نوع الفئة التي ترافق السائحين في أيامنا هذه عند زيارتهم الأهرام والمساجد والآثار القديمة) من دون تمحيص . فضلاً أنه كان يجهل اللغة المصرية القديمة ولو كان يعرفها لكان لتاريخه قيمة أعظم من قيمته الحالية

فضلاً ان النساء يحملنَ الأثقال على اكتافهنَّ بينما يحملها الرجال على رؤوسهم. وبينما يحظر على النساء الاشتغال بالوظائف الكهنوتية وخدمة الآلهة ذكور أو أناث يقوم الرجال بخدمة الكل. ولم يكن الأبناء مكلفين باعالة والديهم في الكبر وانما كانت البنات هنَّ المكلفات شرعاً بذلك سواء رغبنَ أو كنَّ غير راغبات

وبينما يسدل الكهنة في سائر الأقطار شعور رؤوسهم على الاكتاف يحلقها كهنة مصر. وبينما العادة في البلاد الأخرى أن يقصّ الناس شعورهم حداداً على موتاهم يسدل المصريون شعور رؤوسهم ولحاهم اذا مات لهم قريب. وبينما الناس في سائر الأقطار يبتعدون في سكنهم عن زرائب المواشي ومعالفها يربيها المصريون بينهم. وبينما يصنع الناس في جميع البلاد خبزهم من الشعير والقمح يصنعهُ المصريون من الذرة ويعجنون العجين بأرجلهم بينما يخلطون الطين بأيديهم ! !

وبينما يجعل الرجال لباسهم قطعتين تجعله النساء قطعة واحدة. وبينما يضع الملاحون الحلقات ويربطون الحبال في شراع السفن من الداخل يربطها سائر الناس من الخارج. وبدل أن يكتبوا ويحسبوا كالأغارقة من الشمال الى اليمين يكتبون من اليمين الى الشمال ويقولون انهم يكتُبون من الشمال الى اليمين وان

الأغارقة هم الذين يكتبون من اليمين الى الشمال ! ! »

ولا يُعرف بالتحقيق أصل المصريين القدماء فمن قائل انهم من أصل سامي . ومن قائل انهم من أصل عربي . وذهب الاتيوپيون أهالي الحبشة الى أن أصل المصريين منهم معتمدين في ذلك على عبارة نقلها ديودوروس الصقلي[1] *Diodorus Siculus* المؤرخ عنهم وهي " ان مصر مستعمرة من مستعمراتهم ، وطينتها من طمي بلادهم ، وبين المصريين والاتيوپيين مشابهة واضحة في العادات والقوانين ، وكذلك الأزياء التي يستعملها ملوك الأُمتين لا سيما الصل الذي يضعهُ ملوك مصر واتيوپيا فوق التيجان على سبيل الزينة "

وقد بحث الأستاذ الدكتور اليوت سميث مدرّس علم التشريح بمدرسة الطب المصرية سابقاً في هذا الموضوع من الوجهة التشريحية الأُوستيولوجية[2] فاستنتج أن القوم في الوجه البحري

---

(١) زار ديودوروس مصر حوالي سنة ٥٧ قبل الميلاد وكتب تاريخ بلاده وأهلها ودياناتهم معتمداً في الوضع على مؤلفات هيرودوتس وهيكاتيئوس. وانما كان أقل دقة في التأليف من هيرودوتس ولذا يشتمل تاريخه على كثير من الأغلاط (٢) له في ذلك مؤلف كبير مزين بالرسوم توجد منهُ نسخة بمكتبة دار التحف المصرية

مصريون من أهالي البلاد الأصليين وامتزجوا على توالي الأيام بأقوام أتوهم من سواحل بحر الروم وأن القوم في الوجه القبلي مصريون من أهالي البلاد الأصليين أيضاً وامتزجوا على توالي الأيام بأقوام من الزنوج أتوهم من الجنوب

وأظن أن هذا الرأي أقرب الى الصحة من جميع الآراء الأخرى لأنهُ مبني على أساس علمي بحت أما تلك الآراء فمبنية على الحدس والتخمين

ولقد كان المصريون في الدور الجاهلي أي قبل عصر الأسرات عبارة عن قبائل متفرقة ثم انضم ما كان منها بالوجه القبلي الى بعضه تحت حكم أمير منهم اسمه « نارمر » وأغار هذا على امارات الدلتا فأخضع أهلها ونادى بنفسه ملكاً عليها . ولما توفي ملك العرشين معاً (أي عرش مملكة الجنوب وعرش مملكة الشمال[١]) الملك مينا المعروف أيضاً بمينيس وهو أول ملوك الدور التاريخي (أي دور الأسرات) وكان ذلك في سنة ٤٤٠٠ قبل الميلاد بحساب بروكش[٢]

---

(١) كان شعار مملكة الجنوب زهر البشنين (اللوطس) وشعار مملكة الشمال زهر البردي (البابيروس).

(٢) توجد عدة جداول تقريبية لعلماء مشهورين في عالم الآثار وهي

ونحن نعني هنا بدور الأسرات الحقبة التاريخية الواقعة بين سنة ٤٤٠٠ قبل الميلاد (سنة جلوس مينا على العرش) وسنة ٣٤٠ قبل الميلاد (سنة انتقال الملك من يد آخر ملك مصري صميم الى أيدي ملوك الفرس وضياع استقلال مصر)

وقد سميت بدور الأسرات لتقسيمها الى ثلاث طبقات : قديمة ووسطى وحديثة. ثم بالتالي تقسيم هذه الطبقات الى ثلاثين أسرة حاكمة بحسب اصطلاح مانيثون *Manetho* السبنيتي[١] ومن جاء بعدهُ من المؤرخين

تختلف عن بعضها من جهة التواريخ والأسماء . فشامپوليون فيچاك يبتدئ جدوله سنة ٥٨٦٧ ق. م. و بوخ يبتدئ جدوله سنة ٥٧٠٢ ق. م. و بنسن يبتدئ جدوله سنة ٣٦٢٣ ق.م . وايزيوس يبتدئ جدوله سنة ٣٨٩٢ ق.م وليبلين يبتدئ جدوله سنة ٣٨٩٣ ق . م . وماريت يبتدئ جدوله سنة ٥٠٠٤ ق . م . و بروكش يبتدئ جدوله سنة ٤٤٠٠ ق . م .

(١) سبنيتي نسبة الى سبنيتوس المعروفة الآن بسمنود وكان اسمها المصري القديم تب نتر . وكان مانيثون هذا كاهناً مصرياً عاش في أيام حكم بطليموس الأول (من سنة ٣٠٥ الى سنة ٢٨٥ ق . م .) وكتب تاريخ مصر باللغة اليونانية . وقد فقد هذا التاريخ ولولا ورود ذكره في كتابات يوليوس افريكانوس و يوسيبيوس و يوسيفوس ما عرفنا عنه شيئاً البتة . والظاهر انه لا قيمة لهذا التاريخ لأنه مبني على الخرافات التي تناقلها

ونحن نوجه أنظار القراء الى هذه النقطة لأن تاريخ الزراعة الذي نكتبه الآن قاصر على دور الأسرات أي بين سنة ٤٤٠٠ و ٣٤٠ قبل الميلاد. أما تاريخها في الحقبة الزمنية الواقعة بين سنة ٣٤٠ وسنة الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام فسنتكلم عليهِ بالتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب[١] وهو الذي خصصناه للبحث في تاريخ الزراعة عند اليونان والرومان والعرب لغاية القرن الثامن عشر

والسبب في ذلك هو اننا قد لاحظنا ونحن نبحث في هذا الموضوع ان أغلب كتّاب العرب اعتمدوا في الكلام على الزراعة «المصرية – العربية» على مؤلفات من اشتغلوا بهذا الموضوع من الأغارقة والرومان

الناس عن الملوك المصريين ووصلت أخيراً اليه مشوهة مقلوبة . وهو أول من قسم سلسلة الملوك الى ثلاثين حلقة أو أسرة ملوكية وبقي هذا التقسيم الى يومنا هذا واستعمله جميع المؤرخين الذين كتبوا على مصر

(١) سيكون كل جزء من أجزاء الكتاب مستقلاً بذاته ولا علاقة له بغيره من الأجزاء



الزراعة القديمة المصرية

الفصل الأول

مساحة القطر المصري وأقسامه

لا تعرف بالتحقيق مساحة أراضي القطر المصري وكل ما وصل الينا في هذا الموضوع هو قول هيرودوتس *Herodotus* ان الملك سيزوستريس[1] أمر بمسح أراضي القطر المصري بغاية الدقة فمسحت ولكن من الأسف لم تصل الينا نتيجة تلك المساحة

وانما يستدل على اتساع مساحة القطر في ذلك العهد من قول هذا المؤرخ أيضاً في موضع آخر " انه كان يوجد في عصر الملك

---

(١) هو بالاجماع رمسيس الثاني الفاتح العظيم الذي ضم الى ملك مصر بلاد النوبة والحبشة وبين النهرين . وقد اشتغل الناس في أيامه السعيدة بالعلوم والمعارف والفنون والصنائع ونبغ في عصره الشاعر الكبير بنتاؤر . وهو من أشهر ملوك الاسرة التاسعة عشرة الطيبية

امازيس عشرون ألف مدينة آهلة بالسكان" وقول ديودوروس الصقلي "انه وجد بالسجلات الرسمية ١٨،٠٠٠ مدينة" وبالطبع لا يوجد هذا العدد الكبير من المدن الاَّ في بلاد مساحة أراضيها واسعة

على ان بعض الجغرافيين قدَّروا مساحة أراضي القطر في تلك الأيام بمائة ألف ميل مربع

ويتعذَّر معرفة نسبة مساحة الجزء المنزرع الى مساحة الجزء غير المنزرع . وقد بحث أحد الجغرافيين في هذه المسئلة ليعرف مساحة الجزء المنزرع فاستنتج ما يأتي :

كانت المسافة بين سيينا (هي الاسم اليوناني لمدينة أُسوان بضم الهمزة لا بفتحها كما يلفظها أغلب الناس الآن) والبحر الأبيض المتوسط ٦٩٠ ميلاً أي من رأس الدلتا بالقرب من هليوپوليس (مدينة عين شمس) الى مصب الفرع السبنيتي (أي فرع سمنود) ١١٠ أميال ومن طيبة الى رأس الدلتا ٤٥٦ ميلاً ومن جزيرة اسوان الى طيبة ١٢٤ ميلاً فيكون مجموع المسافات ٦٩٠ ميلاً

ومن ينعم النظر في الدلتا أي من هليوپوليس الى شاطئ البحر الأبيض المتوسط يجد انها عبارة عن سهل واسع يبلغ عرضه

من سبعين الى مائة ميل ومساحته كلها لا تزيد عن ٧٫٠٠٠ ميل مربع . أما جنوب هليوپوليس فهو عبارة عن وادٍ ضيق محصور بين جبلين بحيث لا يزيد اكبر عرض فيهِ عن خمسة عشر ميلاً والمتوسط سبعة أميال فقط أي ان الجزء المنزرع يمكن تقدير مساحته بأربعة آلاف ميل مربع

فاذا أضفنا مساحة أراضي الدلتا الى مساحة أراضي الوجه القبلي وضممنا الى ذلك أربعمائة ميل مربع أخرى وهي مساحة أراضي الفيوم فيكون المجموع ١١٫٤٠٠ ميل مربع أي ٧٫٠٢٨٫٥٦٠½ فداناً[١] وهو ما يُظن أنهُ كان منزرعاً في عهد الأسرات

ومن يقارن هذا التقدير بتقدير مساحة أراضي القطر كلها يجد أن الجزء الاكبر من تلك الأراضي كان مهملاً وهذا على ظني يخالف الواقع خصوصاً متى علمنا ان مصر كانت في تلك الأيام الشونة الكبرى التي يشد اليها الناس الرحال من جميع الأقطار لشراء الغلال[٢]

---

(١) يستدل من الإحصاء الرسمي على أن مساحة أراضي القطر المنزرعة في سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ هي ٥٫٣٠٨٫٨٩٠ فداناً أي أقل مما كان يزرع منذ أربعة آلاف عام

(٢) جاء في التوراة بسفر التكوين بالاصحاح الثاني عشر ما يأتي :

ولقد كانت مصر مقسمة ادارياً الى ثلاثة أقسام (وكانت في بعض العصور قسمين فقط) وكل قسم منها مقسم الى أقسام أو مقاطعات أو مديريات أو امارات *Nomes* . وكان عددها يختلف بحسب العصور فكان تارة ستة وثلاثين قسماً وأخرى أربعين ووصل في أحد العصور الى خمسين . وقد نقشت أسماؤها في كثير من المعابد مثل معبد الكلابشة ومعبد جزيرة بلاق والكرنك ودندرة والعرابة المدفونة وها هي تلك الأقسام :

أقسام الدلتا

القسم الأول

قسم أبنوحز ويسمى عند الأغارقة [١] منفيتس وعندنا الآن منف . قاعدته مدينة منوفري وتسمى عند الأغارقة منفيس .

« وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً » وبالاصحاح الحادي والأربعين ما يأتي : « وجاءت كل الأرض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحاً لأن الجوع كان شديداً في كل الأرض » وبالاصحاح الثاني والأربعين ما يأتي : « فلما رأى يعقوب أنهُ يوجد قمح في مصر قال لبنيه لماذا تنظرون بعضكم الى بعض اني قد سمعت أنهُ يوجد قمح في مصر انزلوا الى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت فنزل عشرة من اخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر »

(١) الأغارقة هم اليونانيون

وكانت هذه المدينة قاعدة المملكة المصرية كلها وقد وقعت اكثر من مرة في أيدي الفاتحين من الأجانب وكان فيها عدة قصور مبنية على ربوة تهدمت على توالي الأيام ومعابدها الشهيرة دمرت عن آخرها في العصر البيزنطي . وكانت منفيس هذه من أقوى استحكامات البلاد قبل أن يتم خرابها على أيدي المماليك

القسم الثاني

قسم أ أ ويسمى عند الأغارقة ليتوپوليس

قاعدته مدينة سخم وتسمى عند الأغارقة ليتوپوليس وعندنا الآن أوسيم وهي على الجانب الغربي من النيل بالقرب من امبابه

القسم الثالث

قسم أمنتيت ويسمى عند الأغارقة ليبيا ماريوتس . وكانت قاعدته مدينة بي نب أمو

وكان هذا القسم محدوداً من جهة الشرق بفرع أبي قير ومن جهة الغرب بصحراء ليبيا أي ان مركزه جهة مريوط المعروفة عند الأغارقة بماريوتيس وتدخل ضمن حدوده بحيرة مريوط التي كانت تسمى عند المصريين باسم پامري وعند الأغارقة ماريا

القسم الرابع

• قسم سبي ريسه ويسمى عند الأغارقة پروسپيتس
قاعدته مدينة صقع المعروفة عندنا الآن بشبشير
ويزعمون ان موقع هذا القسم في الشاطئ الشرقي من فرع أبي قير شمال منوف

القسم الخامس

قسم سپي محي ويسمى عند الأغارقة سائيتس
قاعدته مدينة صا وتسمى عند الأغارقة سايس وتعرف عندنا الآن بصا الحجر
وموقع هذا القسم بين فرع أبي قير وفرع سمنود

القسم السادس

قسم خاس ويسمى عند الأغارقة چينا كوپوليتس
قاعدته مدينة خسوو وتسمى عند الأغارقة أكسويس وتعرف عندنا الآن باسم سخا
وهذا القسم واقع في وسط الدلتا بين فرع سمنود وفرع دمياط

القسم السابع

قسم تفرمنت ويسمى عند الأغارقة ميتيليتس

قاعدته مدينة بي حسنب أمنت وتسمى عند الأغارقة متليس
وقد اشتهر من مدن هذا القسم مدينة كانوپ القريبة من أبي قير

القسم الثامن

قسم نفرابت ويسمى عند الأغارقة هيروپوليتس
قاعدته مدينـة پيتوم أو تكوت المعروفة في كتاب العهد القديم (التوراة) باسم فيثوم وسكوت وعند الأغارقة باسم پاتوموس وهيروپوليس . ويمكن الاستدلال على مركز هاتين المدينتين الآن بالمكان المعروف بتل المسخوطة

القسم التاسع

قسم أنت ويسمى عند الأغارقة بوصيريتس
قاعدته مدينـة بي أسيري ددو المعروفة عند الأغارقة باسم بوصيرس وعندنا الآن بأبي صير
وهذا القسم واقع قبلي مدينة سبنيتوس أي سمنود

القسم العاشر

قسم كمي ويسمى عند الأغارقة أتريبيتس
قاعدته مدينة حاتوحراب وتعرف عند الأغارقة باسم أتريبيس وعندنا الآن بأتريب وهي بجانب بنها . والظاهر ان أتريب

مشتقة من هاطريبي وهو الاسم المصري لمدينة بنها

وهذا القسم واقع بين فرعي دمياط وتنيس

القسم الحادي عشر

قسم حسب ويسمى عند الأغارقة فربيتيتس

قاعدته مدينة حسب ومدينـة شدنو المعروفة عند الأغارقة باسم فربيوتس. وقد اختلف الناس في موقع هاتين المدينتين فمن قائل انهُ السنطة ومن قائل انهُ هربيط وذهب بعضهم الى انهُ كوم شنيط ولكن الحقيقة لا تزال الى يومنا هذا مجهولة

القسم الثاني عشر

قسم تب نتر ويسمى عند الأغارقة سبنيتس

قاعدته مدينة تب نتر المعروفة عند الأغارقة باسم سبنيتوس وعندنا الآن بسمنود

وهذا القسم محصور بين قسم سمنود شمالاً والفرع المنديسي شرقاً وقسم بوصيريتس جنوباً وقسم سائيتس غرباً

القسم الثالث عشر

قسم حق ويسمى عند الأغارقة هليوپوليتس

قاعدته مدينـة أون وتعرف عنُد الأُغارقة باسم هليوپوليس

وعندنا الآن بالمطرية وعين شمس

وكان هذا القسم يحد من الجهة الشمالية بقسم أثريبيتس ومن الجهة الجنوبية بقسم منفيتس ومن الجهة الشرقية بسلسلة جبال العرب ومن الجهة الغربية بقسم سائيتس

القسم الرابع عشر

قسم خنت أبت ويسمى عند الأغارقة تانيتس

قاعدته مدينة صالو وتسمى عند الأغارقة تنيس أي صان وكانت هذه المدينة في عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين عاصمة الديار المصرية

القسم الخامس عشر

قسم توت ويسمى عند الأغارقة هرموپوليتس

قاعدته مدينة پيتوت أبرحح أو رحو وهي المعروفة عندنا الآن باسم اشمون طناح

القسم السادس عشر

قسم حامحي ويسمى عند الأغارقة منديسيوس

قاعدته مدينة بينب ددو وتسمى عند الأغارقة منديس ويظن البعض ان اسم القاعدة عند الأغارقة ثمويس لا منديس

وعلى كل حال فان هاتين المدينتين مجاورتان لبعضهما وموقعهما المكان المعروف الآن بتل تمي الأمديد

القسم السابع عشر

قسم سمهود ويسمى عند الأغارقة ديوپوليتس

يظن ان قاعدة هذا القسم مدينة پي خن أمن المعروفة عند الأغارقة بخناموتيس

القسم الثامن عشر

قسم امخنت ويسمى عند الأغارقة بوبسطيتس

قاعدته مدينة بي بست وتسمى عند الأغارقة بوبسطس وموضع هذه المدينة الآن تل بسطة بالقرب من مدينة الزقازيق. وكان هذا القسم يبتدئ شمالاً من بسطة ويمتد جنوباً في الصحراء

القسم التاسع عشر

قسم امبجو أو پاتونوزيت ويسمى عند الأغارقة افتنيوتيس

قاعدته مدينة أم المعروفة اطلالها في أيامنا هذه بتل النبيشة

وموقع هذا القسم بين قسم بوبسطيتس وقسم عرابيا

القسم العشرون

قسم سپت ويسمى عند الأغارقة عرابيا

قاعدته مدينة بي سبت التي كانت مركز تجارة الأقطار الشرقية ويظن ان موضعها في مدينة فاقوس

أما هذا القسم فواقع في الجهة الشرقية من الدلتا بين الصحراء وفرع الطينة

اقسام مصر الوسطى

القسم الأول

قسم خمينو أو أبو ويسمى عند الأغارقة خميس أو يانو پوليتس قاعدته مدينة أبو المعروفة الآن بأخميم

القسم الثاني

قسم دوف ويسمى عند الأغارقة أنتيو پوليتس قاعدته مدينة توكاو وتعرف عند الأغارقة باسم أنتيوپوليتس وعندنا الآن بقاو الكبرى

القسم الثالث

قسم عالو ويسمى عند الأغارقة هيپسيليتس

قاعدته تعرف عند الأغارقة باسم هيپسيليس وهي المعروفة بمدينة شطب الشهيرة بقلعتها التي هدمت كغيرها من القلاع القديمة . وهذا القسم واقع في الشاطىء الغربي من النيل

القسم الرابع

قسم يوتف خنت ويسمى عند الأغارقة ليكوپوليتس

قاعدته مدينة ساووت وتسمى عند الأغارقة ليكوپوليس أي مدينة الذئاب وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تعبد الذئاب وهي تعرف الآن باسم أسيوط وكانت في أيام الفراعنة من أشهر مدن القطر المصري

القسم الخامس

قسم يوتف بحو ويسمى عند الأغارقة افروديتو پوليتس

قاعدته مدينة قوصيت وتسمى عند الأغارقة قوصو وهي المعروفة الآن باسم قوص . وهي واقعة على الشاطىء الغربي من النيل

القسم السادس

قسم أونو ويسمى عند الأغارقة هرموپوليتس

قاعدته مدينة خمونو أو أونو وتعرف عند الأغارقة بهرموپوليس الكبرى وهي المعروفة الآن بالأشمونين وكانت من أقدم وأشهر مدن القطر

القسم السابع

قسم محيت ويسمى عند الأغارقة هرموپوليتس قاعدته مدينة هيبونو المعروفة الآن بالمنيا أو منيـة ابن الخصيب وقد كان هذا القسم أقوى أقسام مصر الوسطى واشتهرت فيه مدن كثيرة مثل نفروس المعروفة الآن باتليدم وهوريت ومنعت خوفو . وكان تابعاً له قسم صغير اسمه دوسان وله قاعدة اسمها پخت المعروفة عند الأغارقة باسم سپيوس أرتميدوس والتي تعرف الآن باصطبل عنتر

القسم الثامن

قسم پا

قاعدته مدينة هبونو وهي تعرف عند الأغارقة باسم هپونوس وهذا القسم واقع في الجهة الشرقية من النيل بحري قسم محيت

القسم التاسع

قسم ماتونو ويسمى عند الأغارقة أفروديتس

قاعدته مدينة پانب تپاح أو پي هاتور وهي المسماة عند الأغارقة أفروديتوپوليس وعندنا الآن أطفيح

القسم العاشر

قسم وابو ويسمى عند الأغارقة أوكسيرينخيتس

قاعدته مدينة بامازيت المعروفة عند الأغارقة باسم أوكسير ينخوس وعندنا الآن بالبهنسا وهذا القسم بين شاطئ النيل الغربي وجبل ليبيا

القسم الحادي عشر

قسم نوهيت الأعلى ويسمى عند الأغارقة هيراكاليوپوليتس

قاعدته مدينة هاخننسو المسماة عند الأغارقة هيرا كليوپوليس وعندنا الآن باهناس المدينة . وهذه المدينـة واقعة في الجانب الأيسر من النيل ولها شهرة تاريخية عظيمة وقد امتدت اليها يد الدهر فدمرت ما كان فيها من المباني التي أقامها كثير من ملوك الأسرات التاسعة والعاشرة والثانيـة عشرة والثالثة عشرة والتاسعة عشرة

القسم الثاني عشر

قسم نوهيت الأسفل ويسمى عند الأغارقة ارسينوئيتس

قاعدته مدينة شودو المسماة عند الأغارقة كروكوديلوپوليس أو ارسينوى وعندنا الآن الفيوم . وكانت هذه المدينـة فى أيام مجدها محاطة بسور كبير يقيها من الغرق

وهذا القسم من أشهر أقسام مصر لجودة أرضه وخصبها وما كان يزرع فيهِ من أنواع الفاكهة وأشجار الزيتون

وكان عنبه على الخصوص جيداً ولذا كانوا يصنعون منهُ النبيذ ويوزعونه على أغلب الأقسام

اقسام مصر العليا

القسم الأول

قسم توخنتيت

قاعدته مدينة أبو ويسمى عند الأغارقة الفنتين وتعرف عند العرب بجزيرة أُسوان أو جزيرة الذهب . ويوجد في هذه الجزيرة مقياس للنيل مؤسس في أيام الفراعنـة وهذا المقياس اكتشفه محمود باشا الفلكي في عهد المرحوم اسماعيل باشا خديو مصر الأسبق . وهذه الجزيرة لها شهرة تاريخية لأنهـا كانت مركزاً تجارياً مهماً في سالف الأزمان فضلاً انها كانت جنة من جنات القطر تنبت أرضها جميع أنواع الأشجار والأعشاب

القسم الثاني

قسم تسحورو ويسمى عند الأغارقة أپولونيتس

قاعدته مدينة دبو المعروفة عند الأغارقة باسم اپولينوپوليس الكبرى والآن بادفو . وكانت ادفو هذه أول محطة للقوافل التي تمر من الصحراء الى البحر الأحمر وذلك من أجل السير في الطريق المعروف الآن بطريق البندر الكبير

القسم الثالث

قسم تن ويسمى عند الأغارقة لاتوپوليتس

قاعدته مدينة نخيبت التي كانت عاصمة القطر المصري أيام كان الرعاة حاكمين في الوجه البحري وهي المسماة عند الأغارقة باسم إليثيا أي الكاب أما لاتوپوليس فهو اسم قاعدة هذا القسم في عصر اليونان وقد أطلق على مدينة اسنا المسماة عند المصريين القدماء باسم سانيت

القسم السابع

قسم وسيت ويسمى عند الأغارقة فاثيريتس

قاعدته مدينة أپيت أو تاپيت أي طيبة أو طيوة ذات المائة باب وفي بعض مكانها الآن مدينة الأقصر أو قصور أبي الحجاج. وقد خربت كما خربت روما ونينوى وكان سبب خرابها أمراً صدر من بطليموس لاثير بتدميرها ثم حدوث زلزلة هدمت ما بقي منها غير تاركة سوى بضع هياكل لا تزال الى يومنا هذا كعبة السائحين من جميع الأقطار

وقد قال فيها هوميروس Homer الشاعر الاغريقي الأعمى ضمن الياذته الشهيرة :

(شعراً مترجماً نثراً) :

" طيبة الملوكية ،

الخزينة المصرية الحاوية للكنوز العظيمة ،

التي تتيه عجباً ببواباتها المائة التي يمر من كل منها ،

مائتا فارس بجيادهم وعرباتهم . "

وقد انتقلت القاعدة بعد خراب طيبة الى مدينة انو الجنوبية المعروفة عند الأغارقة باسم هرمونتيس وعندنا الآن بأرمنت

القسم الخامس

قسم حروي ويسمى عند الأغارقة قو بطيتس

قاعدته مدينة قوبطي وتسمى عند الأغارقة كپتوس وعندنا الآن قفط

وهذا القسم واقع على الشاطئ الشرقي من النيل وكان سكانه يعبدون الإله « خم » أو « مين » وهو إله الزراعة عندهم ويصورونه بشكل رجل واقف وعضوه التناسلي قائم للدلالة على قدرته التامة على التناسل الذي يرمز به عن الأنبات

القسم السادس

قسم أدو ويسمى عند الأغارقة تانتيريتس .

قاعدته مدينة تاريريت المسماة عند الأغارقة باسم تانتيريس وعندنا الآن دندرة وهي من أقدم المدن المصرية وأشهرها

وهذا القسم واقع على الشاطئ الغربي من النيل

القسم السابع

قسم حاسيخوخ ويسمى عند الأغارقة ديوسپوليتس

قاعدته مدينة حاسخم المسماة عند الأغارقة باسم دياسپوليس الصغرى وعندنا الآن هاو

وكان هذا القسم شهيرًا بخصوبة أرضه وكثرة بساتينه وجودة عنبه وهو واقع على الشاطئ الغربي من النيل

القسم الثامن

قسم أبز ويسمى عند الأغارقة ثنيتس

قاعدته كانت أولاً مدينة طينة ثم انتقلت الى مدينة أبودو المسماة عند الأغارقة أبيدوس وتعرف الآن بالعرابة المدفونة

وهذا القسم واقع على الشاطئ الغربي من النيل

الفصل الثاني

النيل والري

ان الناظر الى تربة مصر الأصلية يجدها من نوع تربة الصحراوات التي تحدّها . وانما نوّعها وجعلها صالحة للزراعة ذلك النيل الذي قال هيرودوتس ان مصر هدية منهُ . وهو ايضاً الذي كما يقول لبزيوس يمد جميع أهل مصر بالغذاء

ولقد كان الوجه البحري في أول الأمر مغموراً بمياه البحر الملح حتى مدينة أرسينوى والنيل يجرى بين سلسلة جبال العرب شرقاً وسلسلة جبال ليبيا غرباً في طريق غير معروف ولا ثابت بحسب قوة تياره

وأخذ النيل على توالي الأيام يقذف بطميه على جانبيه وعند مصبه حتى تكوّن ذلك السهل الواسع المعروف الآن بالدلتا أو الوجه البحري أو مصر السفلى

وقد ذكر الجيولوجيون (هم علماء طبقات الأرض) ان المدة التي يحتاج اليها النيل لتكوين وادٍ كبير كوادينا وبقعة واسعة مثل الدلتا لا تقل عن أربعة وسبعين ألف عام وإنما عارضهم فى ذلك

الاستاذ ماسپرو بقوله ان الطمي الذي كانت تحمله مياه النيل في الأزمان السالفة أضعاف مقداره الآن وأن بضعة آلاف عام كافية بلا جدال لإيجاد ذلك البساط السندسي الأخضر الممتد في أيامنا هذه من الاسكندرية شمالاً الى أُسوان جنوباً

وكلمة نيـل مشتقة من اللفظ اليوناني « نيلوس » ولهُ أسماء مصرية كثيرة منها « يومع » و « أور » وعند ما يراد نظمه في سلك الآلهة يسمى « حعپي » لأن المصريين القدماء ألَّهوه وخصصوا له عيداً كبيراً سموه عيد النيل

وهم يصوّرون هذا الإله بجملة أشكال منها شكل رجل يقدم قرابين من الفاكهة والأزهار

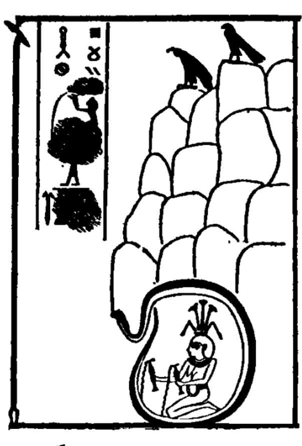
ومنها شكل رجل ممتلىء الجسم ملوَّن باللون الأزرق تنبت من رأسه نباتات مائية ويمسك بيديه سوقهـا وزهرهـا أو بضع خواب يرمز بها للفيضان كما ترى في شكل ١

(عن ولكنصن)

ش ١ — حعپي أو الاله النيل

ويرى في جزيرة بلاق عند أُسوان رسم هـذا الإله جالساً تحت أحجار الشلال في مكان يحيط بهِ

تعبان لبير حاملاً بيديه خابيتين يتدفق منهما الماء . ويرى فوق الأحجار عقاب وباشق يحرسانه كما ترى في (شكل ٢)



(عن ولكنصن)
ش ٢ – الاله النيل جالس تحت احجار الشلال

وقد ذكر هيرودوتس انه كان يقيم على شاطىء النيل كهنة متفرغون لخدمة حعبي هذا. فاذا غرق في النيل مصري أو أجنبي مثلاً ووجدت جثته طافية على سطح الماء أو ملقاة على الشاطىء قامت المدينة المجاورة للمكان الذي وجدت الجثة فيهِ بتحنيطها ودفنها في مقابرها المقدسة . وكانت العادة في مثل هذه الأحوال أن لا يقرب جثة الغريق أحد من أقاربه أو أصحابه . وكهنة حعبي هم وحدهم الذين يحق لهم أن يفحصوه وهم أيضاً المكلفون بدفنه بأيديهم كما لو يكون شيئاً أعظم من رمّة

وكانت عادة كهنة جبل السلسلة عند ما يجيء وقت الانقلاب ويفيض النيل بمائه المقدس أن يحتفلوا بعيد حعبي إلههم العظيم وفي هذا العيد يقدمون قرابين من لحم الثيران والأوز ويلقون

في الماء قرطاساً بردياً مختوماً شاملاً للأمر القاضي باطلاق الحرية للزيادة

وكان يقوم بهذا العمل أحياناً فرعون نفسه أو ولي عهده أو أحد أولاده الذكور وفي هذه الحالة كانوا ينقشون على صخور الجبل عبارة تاريخية لتكون بمثابة تذكار لتشريف حامل التاجين (أي الملك ولقب بحامل التاجين لأنه كان يضع على رأسه في يوم ارتقائه على العرش تاج الدلتا وتاج الصعيد) واشتراكه في الاحتفال بعيد هذا الإله العظيم .

وكنت ترى القوم في هذا العيد مجتمعين مع بعضهم رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً والكل يأكلون ويشربون ويطبلون وينشدون ويستمرون في فرح وسرور حتى يخرج الكهنة من الهيكل حاملين تمثال المعبود فيمشوا به على الشاطىء ووراءهم القوم مرتلين على نغمات الآلات قائلين :

« السلام عليك أيها الإله يا من نزلت على الأرض وجئت لإحياء مصر . أنتَ موجد القمح ومخرج الشعير من الأرض وسبب الابتهاج والسرور في الهياكل والدور فاذا تفرَّغت أصابعك عن العمل أو ألمَّ بك ألَمٌ نزلت البلواء والبأساء بالأقوام لأن الآلهة في السماء متى حلَّ بها الصغار والهوان هلك الانسان ونفق

الحيوان وصُبّ العذاب على الأرض كلها بمن فيها من كبير وصغير ولكن متى أقبلت يا نيل تغيرت جميع هذه الأحوال أمام الانسان فانه بمجرد ما تبدو أنت للعيان بعد أن يخلقك خنوم إله الشلاَّل ترى الأرض وقد اخذت زخرفها وازينت وجميع البطون وقد فرحت واستبشرت وجميع القدود وقد استولى عليها الطرب والسرور فاهتزَّت وترنحت وجميع الثنايا وقد ابتسمت لما قضمت فترى الترح قد زال وحلّ محله الفرح في كل حال فدم يا نيل في عزّ ويمن واقبال وأحي الأقوام بالأنعام والأنعام بالحدائق والرياض ألا فدم يا نيل في عز ويمن واقبال . . هيَّا بنا »

وعلى ذكر هذا العيد المصري القديم نقول ان المصريين كانوا الى عهد الفتح الإسلامي يزعمون ان النيل لا يفيض الاَّ اذا أُلقيت فيهِ في وقت من الأوقات كاعب عليها أحسن الثياب والحلي فلما فتحها عمرو بن العاص أتى اليهِ أهلها وقالوا له : أيها الأمير ان لنيلنا هذا سُنة لا يجري الاَّ بها . فقال لهم وما ذاك . فقالوا له اذا كان ثنتا عشرة ليلة تخلو من شهر بؤنة من شهور القبط عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الثياب والحلي والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل . فقال لهم عمرو هذا لا يكون في الإسلام وأن الإسلام يهدم ماقبله.

فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهي أسماء ثلاثة أشهر قبطية لا يجري النيل فيها لا قليلاً ولا كثيراً حتى همُّوا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب الأخير بطاقة وأرسل معها الى عمرو بن العاص كتاباً يقول لهُ فيه : اني كتبت اليك بطاقة فألقها في النيل فأخذها عمرو فاذا فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر . أما بعد فان كنت تجري من قِبلك فلا تجرِ وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » وألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ الناس للجلاء من مصر فلما ألقى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تبارك وتعالى تلك السنة السوء من أهل مصر فاقتنع أغلبهم بأن إلقاء الجارية في النيل لم يكن الاَّ بدعة

وذكر ابن حجلة التلمساني رحمه الله أن المصريين في زمانه كانوا محتفظين بصندوق فيهِ أصبع يقال لهُ « أصبع الشهيد » وهذا الصندوق يلقونهُ في النيل عند شبرا في الثامن من شهر بشنس زاعمين ان النيل لا يزيد الاَّ اذا ألقي فيهِ ذلك الصندوق وانهم كانوا يعيدونهُ بعد القائهِ ويحتفظون بهِ ليلقوه في العام التالي وهلمَّ جرًّا

وكان المصريون يعتقدون في أول الأمر ان النيل ينبع من مكان واقع بين جزيرة بلاق وجزيرة أُسوان ثم زعموا أن مياهه تنزل من السماء ولهذا السبب قدّسوه ونظّموه في سلك آلهتهم

ولما غزوا بلاد الجنوب واستكشفوا البلاد الواقعة وراء أُسوان قالوا انهُ يستمد مياهه من النيل السماوي وتوهموا أن الفيضان ناتج من بكاء الإلاهة ايزيس على زوجها أوزيريس وسقوط دمعة من دموع عينيها في النيل السماوي الذي يستمد منه نيل مصر الأرضي مياهه وعند ذلك يفيض نيل مصر ويروي جميع الأراضي الواقعة على ضفتيهِ وعند مصبه

وذهبوا أيضاً الى أن هذه الدمعة تسقط من عينيها فى وقت معيَّن وسمُّوا وقت سقوطها « ليلة اللجة المنهمرة من الدموع الغزيرة للمعبودة الكبيرة » كما جاء في نصوص هرم أوناس بسقارة

وعلى ذكر ايزيس وأوزيريس نقول ان قصتهما مشهورة في الميثولوچيا المصرية . أما موضوعها فهو أن الإله ست المعروف عند الأغارقة بتيفون أضمر لأخيه أوزيريس السوء فخدعه وأدخله في صندوق وأغلقه عليه وألقاه في اليم

وكان لايزيس ولد اسمه هوروس أو حوريس هربت بهِ المسكينة من وجه عمه الخبيث لئلاَّ يبطش بهِ كما بطش بوالده

وخبأته في مكان أمين لا تصل اليهِ يد عمه اللعين وهناك نشأ وترعرع

أما هي فأخذت تجوب الفيافي والقفار نادبة سوء حظها باحثة عن جثة «أخيها وزوجها وحبيب فؤادها» وأخيراً ظفرت بها في مدينة بيبلوس[1] داخل الصندوق الذي وضعها فيهِ ست وهناك فتحته وأخرجت الجثة منه وما وقع نظرها على وجه زوجها حتى لطمت خديها وشقت الجيوب وشرعت تبكيه وتندبه واليك بعض ما قالته في مرثيتها الشهيرة :

(شعر مصري قديم معرَّب)

ايه يا حبيب أبيك ويا ملك المسرات ،

ايه يا منعش قلوب الآلهة ومنير بيتك بجمالك ،

ايه يا مرهب الآلهة بقوَّتك ومرعب الكون بجلالك ،

***

اسمع . اسمع ،

انني زوجتك التي تحميك ،

أنا الأخت التي تحمي أخاها ،

تعالَ . تعالَ . تعالَ اليَّ ،

---

(١) بيبلوس مدينة شهيرة بالشام تسمى الان جُبيل وتسمى أيضاً جبون واسمها في التوراة جبيال وعند المصريين القدماء كابونا وعند الأشوريين جبال

فاني أريد أن أراكَ ،

تعالَ يا حبيب الفؤاد تعالَ ،

***

أيها الإله العظيم الذي أجله عن الشبيه والنظير ،

أيها الرضيع المتدرج في المهد ،

أيها الولد الحبيب دعني أراكَ ،

ان البلاد والأقاليم تبكي عليك ،

والعالم يندبك كما لو تكون في سيشيتا ،

السماء والأرض تنفطر يا حبيبي جزعاً عليك ،

بقدر ما أنت رفيع وعظيم ،

***

عُد الى هيكلك ،

عُد ولا تخشَ أحداً ،

ابنك المحبوب هوروس أمامك ،

وهو مالك الكون وصاحب الأمر فيهِ ،

***

تعالَ يا حبيب الفؤاد تعالَ ،

أنا زوجتك التي تحبك ،

وقلبي يخفق من أجلك ،
وذراعاي ألفهما الآن حولك ،
انني لا أدعك ترحل عني ،
قلبي حزين لأني ،
لا أراك ولا أرى جمالك ،

***

أنا زوجتك وقد رددت لك الحياة ،

. . . . انتهى

ولما عادت ايزيس بجثة زوجها الى قرية بوتو المقدّسة ظفر بها ست هناك فتناولها بيديه أثناء غياب ايزيس ومزّقها اربا وألقاها على الثرى فنقلتها الرياح الى أماكن بعيدة (كذا) ولما عادت ايزيس وعرفت ما حدث بحثت عن أشلائه وكانت تدفن كل عضو تجده في مكانه . وانتهت القصة بأخذ هوروس بثأر أبيه وجلوسه على عرش أجداده وتوليته أباه أوزيريس ملكاً في عالم الموتى

(عود الى بدء) أما فروع النيل فقد ذكر هيرودتس انها كانت سبعة تصب كلها في البحر الأبيض المتوسط وهى :

١ — الفرع البوبسطي ويعرف الآن بترعة أبي منجا وكان

يصب في البحر بالقرب من قرية الطينة (پيلوزه أو الفرما) ومكان هذا الفرع ظاهر الى الآن

٢ — الفرع الطانيتيكي ويعرف الآن ببحر مويس

٣ — الفرع المنديسي ويعرف الآن ببحر أشمون الرمان ويصب في بحيرة المنزلة

٤ — الفرع الفاطميتي ويعرف الآن بفرع دمياط

٥ — الفرع السبنيتي ويعرف الآن بترعة مليج

٦ — الفرع البلبيتيني وهو جزء من الفرع الكانوپي أي فرع رشيد الآتي ذكره وكان يخرج منه بالقرب من بلدة الرحمانيـة بمديرية البحيرة ويصب في البحر الأبيض المتوسط

٧ — الفرع الكانوپي ويسمى أيضاً الهرقليوتيكي أو النقراتيكي وهو عبارة عن فرع رشيد ومبدؤه رأس مثلث الدلتا أو روضة البحرين فكان يجري حتى يحاذي بلدة الرحمانيـة ويتفرع الى فرعين أحدهما الفرع البلبيتيني وقد مرَّ ذكره والثاني يتجه الى الشمال الغربي حتى يدنو من جبال ليبيا ويصب في البحر الأبيض المتوسط وبعض مجراه يعرف الآن باسم ترعة المحمودية وأما باقيه فقد ردم وصار أرضاً زراعية

وكان يوجد في النيل وفروعه والترع التي تستمد مياهها منه

كثير من السمك الصالح للغذاء مثل سمك السلطان ابرهيم الذي كان يتغذى بنبات اللوطس (البشنين) في بطحاء مدينة الطينة والبوري والشلبة والعبيدي والرعاد والسلحفاة الكبيرة والفهاقة

وكان يوجد في الأشاتيم كثير من أنواع السمك البحري والنيلي على نوعيهما وهي لا تزال موجودة ومعروفة

وكان السمك غذاءً جيداً لجميع طبقات الأمة المصرية لاسيما الطبقة الوسطى والفقراء من الفلاحين وأرباب الحرف والصنائع. وكان الأغنيـاء والأمراء يعتبرون صيده نوعاً من أنواع الرياضة وترى صورهم وهم يصيدونه في كثير من الآثار

وكانت العادة انه عند ما يفيض النيل ويغمر الأراضي الزراعية ويملأ الخلجان والترع ويصل السمك بهذه الطريقة الى كل بلد من بلاد القطر تقريباً يشرع الناس في صيده ويكون ذلك نعمة من نعمه الجزيلة على القطر وساكنيه

ولقد سمى استرابون *Strabo* وقت صيده « بموسم حصاد السمك » وذلك لكثرته وانتفاع جميع الناس بهِ . ويقال ان الكمية التي كانوا يحصلون عليها عظيمة جداً ولذا كانوا يملحون أغلبها ويحتفظون به لحين الحاجة اليهِ

وقد ذكر هيرودوتس أن الايراد اليومي لحلقات بحيرة قارون

بالفيوم بلغ مائة وأربعة وتسعين جنيهاً انجليزياً (بعد التحويل) في أيام التحاريق وخمسة وستين جنيهاً انجليزياً في أيام الفيضان

وقد عزا أغلب العلماء والمؤرخين المتقدمين مثل هيرودوتس وافلاطون *Plato* وديودوروس واسترابون وكلمنس السكندري *Clemens Alexandrinus*[1] ويامبليخوس *Iamblichus* نبوغ المصريين في علم الهندسة لا سيما فرع المساحة الى تقلبات النيل المستديمة والحاجة لايجاد طريقة يمكن أن تعرف بها حدود أطيان كل واحد من الملاك . ونسبوا اليهِ أيضاً تقدمهم في علم الفلك الذي كانوا يعرفون بهِ أوقات الفيضان وأوقات الزرع وأوقات الحصاد. فلقد كانوا يستدلون بظهور الشعرى اليمانية على فصل الفيضان ومبدأ السنة الأهلية وكانت هي أساس التقاويم عندهم

وكانت السنة مقسمة الى ثلاثة فصول فقط وهي :

(١) فصل الزرع وزمنه أربعة شهور وهى توت ويقابله من الشهور القبطية تحوت وباؤبي ويقابله بابه وأتور ويقابله هاتور وشوياك ويقابله كيهك

---

(١) كاهن من فحول علماء الاسكندرية وهو اول من كتب كتابة صحيحة على الخط المصري القديم ووضع في ذلك رسالة في القرن الثاني الميلادي

(٢) فصل الحصاد وزمنه أربعة شهور وهى توبى ويقابله من
الشهور القبطية طوبه ومشير ويقابله امشير وفامنوت ويقابله
رمهات وفرموتى ويقابله برموده

(٣) فصل الفيضان وزمنه أربعة شهور وهي باشونس ويقابله
من الشهور القبطية بشنس وپاؤني ويقابله بؤنه وأپيپ ويقابله
أبيب ومسوري ويقابله مسرى وكان كل شهر من الشهور
المصرية في حمى إله[1]

---

(١) من ينعم النظر في أسماء الشهور المصرية وأسماء الشهور القبطية
يجد أنها واحدة مع تحريف بسيط

وقد وردت أسماء الشهور المصرية في كتاب النيل لمؤلفه الأستاذ
والس بدج كما يأتي مع العلم بأن التواريخ وضعت لأول مرة في سنة ٣٠ ميلادية
بمدينة الاسكندرية :

أبت وا سات (أي أول شهور الزرع) وابتداؤه يوم ٢٩ اغسطس
وأبت سين سات (أي ثاني شهور الزرع) وابتداؤه يوم ٢٨ سبتمبر
وأبت خمت سات (أي ثالث شهور الزرع) وابتداؤه يوم ٢٨ اكتوبر
وأبت فتوسات (أي رابع شهور الزرع) وابتداؤه يوم ٢٧ نوفمبر
وأبت وابرت (أي أول شهور النبت) وابتداؤه يوم ٢٧ ديسمبر
وأبت سن برت (أي ثاني شهور النبت) وابتداؤه يوم ٢٦ يناير
وأبت خمت برت (أي ثالث شهور النبت) وابتداؤه يوم ٢٥ فبراير

وقد قسموا الشهر الى ثلاثة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشرة أيام أي ان الشهر كان مشتملاً على ثلاثين يوماً . وقسموا اليوم الى أربعة وعشرين قسماً (ساعة) نصفها في النهار ونصفها الآخر في الليل وسُميت الخمسة أيام الباقية من السنة بالأيام الزائدة أما الفرق الباقي وهو ربع اليوم فقد عدّلوه بانتظار الشعرى اليمانية واعتبار ظهورها مبدأ السنة

وكان لهم مراصد كثيرة في أمكنة متفرقة لرصد الكواكب مثل مرصد دندرة ومرصد العرابة المدفونة ومرصد منفيس ومرصد المطرية

وكانوا يعرفون مراكز النقط الأصلية (وهي الشرق والغرب والشمال والجنوب) بالدقة وقد وجدت مرسومة على بعض الآثار وفي غطاء تابوت يحتوي على جثة كاهنة

ولما كان من صالح الحكومة والأهالي معاً توزيع مياه النيل

وأبت فتوبرت (أي رابع شهور النبت) وابتداؤه يوم ٢٧ مارس
وأبت واسيت (أي أول شهور الفيضان) وابتداؤه يوم ٢٦ أبريل
وأبت سن سيت (أي ثاني شهور الفيضان) وابتداؤه يوم ٢٦ مايو
وأبت خمت سيت (أي ثالث شهور الفيضان) وابتداؤه يوم ٢٥ يونيو
وأبت فتوسيت (أي رابع شهور الفيضان) وابتداؤه يوم ٢٥ يوليو

بحساب استحقاق كل مالك فقد أنشأت الحكومة بارشاد مهندسيها عدة مقاييس في جهات مختلفة لمعرفة مناسيب الماء خصوصاً في أيام الفيضان . وكانوا يتخيرون الأوقات المناسبة لفتح الخلجان والترع بناءً على التقارير التي يرفعها الى جهة الاختصاص ملاحظو تلك المقاييس التي كان من أشهرها مقياس سمنة الواقع على مسافة خمسة وثلاثين ميلاً خلف الشلال الثاني وقد أنشأهُ أمنمحعت الثالث ومقياس جزيرة أسوان — وهذا المقياس عبارة عن بئر له سلم يحتوي على درجات تنتهي ببسطة مربعة تنعطف منها درجات أخرى ممتدة الى مياه النهر . أما الماء فيدخل من نوافذ في الحائط موضوعة فوق بعضها على مسافات غير متساوية وبجانب الدرجات تقاسيم يعرف بها منسوب الماء

وقد قدّر الرياضيون وحدة المقياس الذي كان يقيس بهِ المصريون ارتفاع الماء بثلاثة وخمسين سنتيمتراً (بعد التحويل)

وكان الناس يحتفلون بفتح هذه الترع والخلجان احتفالاً عظيماً لأن عليها تبنى آمال الفلاح وبواسطتها يحصل الجباة ضرائب الأطيان التي تملأ بها الحكومة « خزائن الفضة » و « شون الغلال » فاما أن يكون عام خير عام أو عام شرّ عام

وكانوا يحتفلون بأعياد الزراعة ومواسمها في أوقات معلومة

فمثلاً كان عندهم عيد قطع الجسور وعيد شق الترع وعيد حصد الزرع وعيد تخزين المحصول وهلمّ جرًّا . وكانوا يحافظون عليها كل المحافظة لأن العام الذي يهملونها فيهِ يكون في اعتقادهم عام خير وسعادة ورفاهية . وقد أثبت لنا علماء الآثار والجغرافيون أن المصريين أنشأوا كثيراً من الجسور والمصارف الكبرى ولا يمكن أن ينشئوها الاَّ اذا كان عندهم آلات تساعد على اتمام هذه المشاريع العظيمة

واليك الآن وصف هيرودوتس للعمل الجسيم الذي قام بهِ مينا لتغيير مجرى النيل ومنه تعرف أنهُ لا يمكن أن يكون المصريون قد أقدموا عليهِ من دون أن تكون عندهم الآلات والعدد وجميع الوسائط اللازمة . قال « انه لما تم اتحاد المملكة تحت سلطة الملك مينا أراد هذا الملك الطيني أن يتخذ لهُ عاصمة تكون مركزاً لأحكامه ومقرًّا لأوامره وسلطانه فاستحسن الموضع الذي بهِ ميت رهينة الآن لأنه كان صالحاً لتخطيط هذه العاصمة وموافقاً لها فأحاطهُ بجسر يعرف الآن بجسر قشيشة وكان النيل من قبل يجري سيحاً بجانب جبل ليبيا على طول الآكام الرملية فأطم فرعه الممتد في جنوب منف بمائة استادة وقطع الماء عن مجراه الأصلي فجف وحوّل النهر في مجرى مهّدهُ بين الجبلين ثم أحاط الأرض التي

تخلفت من ذلك بالجسور وخطّ فيها مدينة منف ثم أحاطها من الجهة البحرية والغربية ببحيرة وجعل الماء يأتيها من النيل فكان النيل حداً للمدينة من الجهة الشرقية وكان الجسر مانعاً في الجهة القبلية من غائلة النيل والبحيرة حافظة من الجهة البحرية والغربية من تعدي العدو والنيل يصد عنها في الجهة الشرقية كل سطو وهجوم وبذلك كانت محصنة من جميع جهاتها »

وقد اشتهر من الملوك بالاهتمام بشؤون الري الملك أمنمحمت الثالث (من الطبقة الوسطى) ويقال ان سيتي الأول (من ملوك الطبقة الوسطى) أنشأ ترعة توصل النيل بالبحر الأحمر

وممن تقرن أسماؤهم بمسائل الزراعة والفلاحة الملك زوسر (من ملوك الطبقة القديمة) فقد حدث في أيام حكمه أن النيل لم يزد ثمانية أعوام متوالية فمات الزرع وكاد الناس يهلكون جوعاً. وأپپي الذي كان سيدنا يوسف عليهِ السلام وزيره[١] — وقصة رؤياه وتفسير يوسف تلك الرؤيا وحدوث ما أنبأ بوقوعه معروفة[٢]

---

(١) رولنصن — تاريخ مصر القديم ج ٢ ص ٣

(٢) هذه القصة مذكورة في التوراة وفي القرآن الشريف فليراجعها من يريد من القراء

الفصل الثالث

آلات الزراعة عند المصريين القدماء

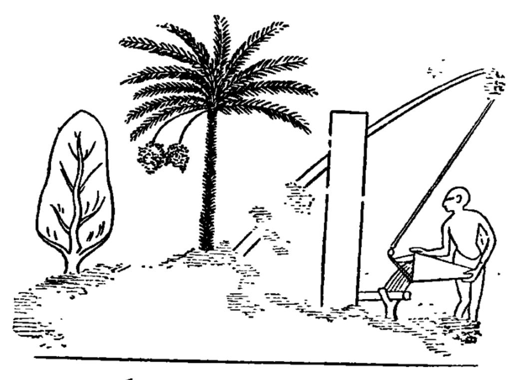
المصريون القدماء هم بإجماع علماء التاريخ والآثار أول من اخترعوا آلات للزراعة . وهذه الآلات وان تكن في حد ذاتها أوَّلية فقد استفادوا منها واستغنوا بهـا عن أي نوع من أنواع الآلات الحديثة

وهذه الآلات لا تزال مستعملة في مصر الى يومنا هذا بجانب الاختراعات الحديثة . ومن الغريب أنه لم يدخل عليها الاَّ تعديل بسيط لم يؤثر أقل تأثير على شكلها الأصلي . ومن يشك في ذلك فما عليهِ الاَّ أن يقارن أشكالها المرسومة هنا — وهي مأخوذة عن الآثار نفسها — والآلات المستعملة عند فلاح هذا العصر المصنوعة على مثالها

أما هذه الآلات فست فقط وهي :

أولاً — الشادوف وهو كما ترى في الرسم التالي عبارة عن جهاز مصنوع من الخشب ومكوَّن من عمودين ثابتين على الأرض توصلهما ببعضهما عارضة من الخشب موضوعة وضعاً أفقياً وهذه

العارضة تحمل من وسطها عموداً طويلاً من الخشب يتدلى من أحد طرفيه دلو ومثبت في الطرف الآخر ثقل من الطين



(عن ولكنصن)

شكل ٣ — رسم شادوف نقلا عن آثار طيبة

وهذا الجهاز البسيط النافع كان مستعملاً لرفع المياه من الترع والخلجان وري الأراضي المرتفعة

ثانياً — المعزقة وهي كما ترى في شكل ٤ عبارة عن أداة من الخشب على مثال حرف A الافرنجي والناظر فيها يجد أن أحد ساقيها طويل وأملس ومعتدل

(عن ولكنصن)

ش ٤ — رسم معزقتين متقاطعتين وجدتا في مقبرة بطيبة

ومستعمل نصاباً (قبضة) والآخر قصير وعريض ومقوّس ومنتهٍ بحدّ رفيع أو مستدير وهو المعروف بالسلاح . وكانت القبضة تربط مع السلاح بحبل مجدول[١]

وقد وُجدت معازق كثيرة في المقابر وانما لم يقم بعد دليل على أن السلاح كان ملبساً بمعدن من أي نوع كان

وكانت هذه الأداة مستعملة لتفكيك أجزاء الأرض بعد أن يمر عليها المحراث وأحياناً كانت تستعمل وحدها لهذا الغرض . وكان يُرى العزّاقون في الطبقة القديمة سائرين خلف المحاريث ثم شوهدوا أمامها

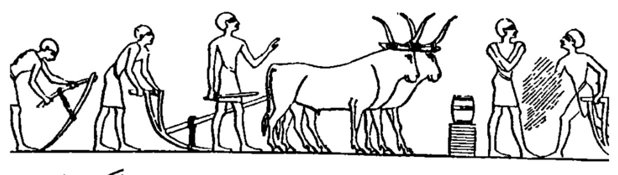
ثالثاً — الفأس وهي أداة بسيطة التركيب مكوّنة من قبضة اسطوانية ملساء مصنوعة من الخشب الصلب وسلاح مثبت فيها مصنوع من البرونز أو الحديد . وقد وجدت رسوم عديدة يرى فيها بعض الفلاحين واقفين وبأيديهم الفؤوس يقطعون بها الأشجار أو يحولون بها مجاري المياه لري الحيضان

رابعاً — المحراث (ويسمى بالمصرية هبي) وهو قريب في شكله من محاريث هذا العصر والناظر اليهِ يجده مكوناً من عيان

---

(١) أخبرني جناب المستر جرالد ددجن مستشار وزارة الزراعة بمصر ان هذا النوع لا يزال مستعملاً في غرب أفريقيا

(سلاح) مصنوع من الخشب مثبت في قبضتين يمسكهما الحراث وقت حرث الأرض وميس (قصبة) طويل من الخشب الصلب مثبت في أسفل القبضتين ومربوط في السلاح بحبل وفي طرف هذا الميس ناف أو عارضة طويلة ملساء من الخشب في كل من طرفيها حبل مجدول (مخنقة) وأحياناً تثبت في الناف عند كل من المخنقتين مخدة لتمنع الناف من الانزلاق من مكانه فوق أعناق المواشي



(عن ولكنصن)

ش ٥ — المحراث المصري القديم والمزقة نقلا عن آثار بني حسن

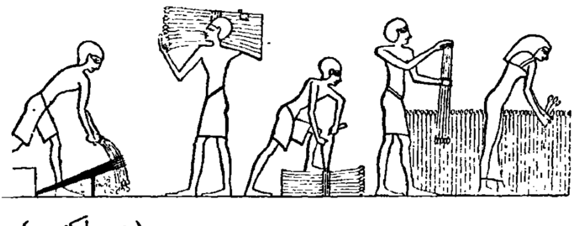
ولم يعرف بعد ما اذا كانوا استعملوا المعادن لتلبيس أسلحة المحاريث أم لا لأن جميع المحاريث التي وجدت الى الآن لم تدخل في صناعتها المعادن ولذا يظن أن الأسلحة لم تلبس في أي عصر من العصور القديمة بالمعادن

وكانت المحاريث تجر بواسطة المواشي وانما ذكر لبزيوس أنهُ استعمل في الطبقة الحديثة نوع من المحاريث استبدلت فيهِ المواشي بالفلاحين أنفسهم وهذا النوع من المحاريث كان مستعملاً للحراثة

السطحية ولتفتيت الطبقة الطينية العليا من الأرض فقط وهو يختلف في شكله قليلاً عن المحراث المعروف . وكانت المحاريث تستعمل لشق أراضي الزراعة الواسعة وتقليبها جيداً

خامساً — الشرشرة وهي عبارة عن أداة من المعدن مسننة كالمنشار وكانوا يستعملونها لحصد القمح والشعير. وكان يوجد عندهم نوع آخر غير مسنن (على مثال المحشة) لتقطيع المحصولات الأخرى (المنجل)

سادساً — آلة تقطيع الذرة وهي عبارة عن شوكة من المعدن مثبتة في قطعة من الخشب يقف خلفها العامل ويمرّر عليها كيزان الذرة فتقطعها كما ترى في الشكل التالي



(عن ولكنصن)

ش ٦ — آلة تقطيع الذرة وبجانبها بعض الفلاحين يقتلعون الذرة ويربطونها حزماً وينقلونها على اكتافهم الى المكان الذي تقطع فيه كيزانها نقلا عن آثار السكاب

الفصل الرابع

طرق الزراعة وزراعة القمح والشعير والذرة

يظهر مما نراه مرسوماً في الآثار أن القمح والشعير والذرة كانت أهم الحبوب التي يعتني بزراعتها الفلاح المصري القديم ونحن لا نعرف ما اذا كان اعتناؤه بزرعها ناشئاً عن عدم احتياجها لخدمة طويلة ومتعبة مثل كثير من الحبوب الأخرى التي لم نرَ لها رسوماً في الآثار أو لأنهُ كان مرغماً على زرعها دون غيرها

أما طريقة زرعها التي وجدت في الآثار فبسيطة وهي أنهُ بعد الفيضان وامتصاص الأرض كفايتها من الماء وتصريفه ثم جفافها بحرارة الشمس ومرور الهواء يشرع الفلاح في تجهيزها للزرع فيحرثها أولاً بالمحراث ثم يعزقها بالمعزقة . ولكن اذا كانت مياه الفيضان قد بقيت مدة طويلة في الأرض ولم تجف تماماً فيكتفى في هذه الحالة بعزقها عزقاً خفيفاً بالمعزقة ثم بذر الحبوب فيها

وقد شوهدت عدة رسوم تمثل طريقة الحرث وفيها يرى المحراث يجرُّه ثوران وخلفه الحارث متكئاً بيديه على قبضتي المحراث ليشق « بالعيان » الأرض شقاً غائراً وبجانبه رجل آخر يسوق

الثورين بعصا رفيعة أو بسوط ويحث صاحبه على العمل وخلف المحراث رجل يفتت الكتل الطينية التي تركها المحراث بمعزقة ويجيء وراءه رجل آخر ماسك بيده اليسرى أو معلق في ذراعه مقطفاً مصنوعاً من سعف النخل يشتمل على الحبوب ويبذرها بيده الأخرى

وكانوا في الغالب يسيرون محراثين الواحد خلف الآخر كما شوهد في كثير من الرسوم ولا يعرف ما اذا كانوا استعملوا أزواجاً من المواشي مختلفة النوع (مثل حصان وثور أو ثور وحمار وهلمّ جرّا) في جرّ المحاريث كما كان حاصلاً في بعض الأقطار الأخرى أم لا ولكن من المحقق أنهم استعملوا في بعض العصور حيوانات خلاف الثيران لجرّ المحاريث[1] فلقد ذكر في قصة الأخوين أن الفلاحين استعملوا الخيل في جرّ المحاريث وشوهد رسم جواد يجر محراثاً في معبد خونسو المؤسس في عهد الرمسيسيين وجاء في قرطاس سليير البردي ما معناه «يموت الحصان وهو يجر المحراث»

وقد قال هيرودوتس لما شاهد طريقة الزرع في مصر «انه لا يوجد في العالم قوم يجمعون محصولات أراضيهم بسهولة اكثر من المصريين فهم لا يحتاجون الى حفر خطوط غائرة بالمحراث

(١) قرطاس دوربيني البردي *D'Orbiney*

أو تكسير الكتل الطينية أو تقسيم الأراضي بأشكال متنوعة كما يفعل القوم في البلاد الأخرى بل يكتفون عند ما يفيض النيل وتغمر الأراضي الزراعية بمياهه وتنصرف تلك المياه ببذر الحبوب واطلاق الخنازير على الأراضي لتغطي الحبوب بأرجلها ثم ينتظر كل واحد من الفلاحين أيام الحصد فيجمع المحصول بدون مشقة»

ويفهم من هذه العبارة أن المصريين القدماء استعملوا الخنازير لتغطية الحبوب بعد بذرها وانما هناك شك في صحة هذه العبارة لأن الخنزير كان في نظر المصريين نجساً [١] وكان من قوانينهم ألاَّ يختلط رعاة الخنازير بالناس أو يتعاملوا معهم . وفي ذلك قال هيرودوتس " ان هذه الفئة كان محظوراً عليها دخول الهياكل وغير مصرَّح لأي فرد من أفراد المصريين أن يزوج ابنته من راعي خنازير أو يتزوج من ابنة أحدهم وذلك لاعتبارهم الخنزير حيواناً نجساً . وبالجملة كانوا فئة منبوذة كفئة المحنطين ولا علاقة لهم البتة ببقية الناس "

أضف الى ذلك انه كان من عاداتهم أن الانسان اذا لمس خنزيراً وجب عليهِ الاغتسال حالاً ثم غسل لباسه ليتطهر هو ولباسه

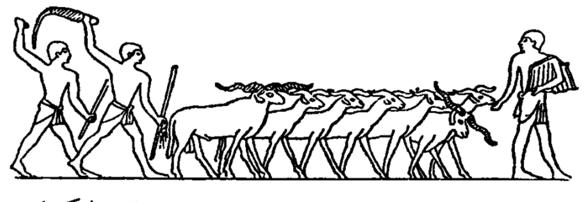
---

(١) الظاهر ان الاسرائيليين لم يأخذوا مسئلتي اعتبار الخنزير حيواناً نجساً وتحريم اكل لحمه الاّ عن المصريين القدماء

لهذا اعتقد بأن وجود الخنازير في الأراضي الزراعية لا بدَّ وأن تكون له فائدة زراعية عظيمة خلاف الانطلاق على الحبوب لتغطيتها بأرجلها كما يزعم هيرودوتس لأن الحيوانات الأهلية عندهم كثيرة وكان يمكن الاستغناء بها عن ذلك الحيوان النجس

وانما ما هي تلك الفائدة الزراعية العظيمة التي كانت تعود على المصريين من استعمال هذا الحيوان بالرغم عن نجاسته ؟ ؟؟ ان البعض يزعمون انهم كانوا يستخدمونه ليأكل الجذور والحشائش التي تنبت على وجه الأرض بعد الفيضان ولكن الحقيقه لا تزال غير معروفة — وربما تبقى الى ما شاء الله مجهولة ! !

وكانوا أحياناً يستعملون الحمير والغنم لتغطية الحبوب بدلاً عن الخنازير وقد شوهدت في بعض المقابر صور ترى فيها الكباش تجري وخلفها الفلاحون يضربونها بالسياط حتى لا تقف



(عن بائدكر)

شكل ٧ — كباش تغطي البذور نقلا عن مقبرة تي

وكانوا يقسمون الأراضي المراد زرعها خضراوات أو أعشاباً

طبية الى قطع صغيرة مستطيلة أو مربعة (أحواض) ويحيطونها بجسور صغيرة من الطين ويروونها بالشواديف وكانوا يصرفون المياه بعد أن تمتص الأرض كفايتها منها بقطع الجسور المحيطة بها

وقد ذكر بليني *Pliny* ان المصريين كانوا يستعملون سماداً أزوتياً خاصاً يذرونه على الأرض المراد تسميدها فتزداد خصوبة وانما كان استعمال هذا السماد قاصراً على بعض الخضراوات

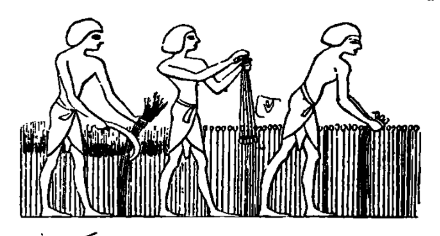
والمصريون هم أول من وجدوا بالاختبار ان زرع أشجار العنب في الأراضي الرملية المرتفعة عن سطح البحر أجود منه في الأراضي الطينية ولذا كانوا يخلطون طين الحدائق المزروعة فيها أشجار العنب بالحصى والزلط الصغير أي ان الحصى والزلط هما عبارة عن السماد اللازم لأشجار العنب ولهذا السبب كانوا يزرعون أشجار العنب وكثيرًا من النباتات في حواجر الجبال والجهات المرتفعة الواقعة بين الأراضي الزراعية والصحراء وقد وجدت فيها فعلاً جذور العنب وكثير من الأعشاب التى لا يصلح زرعها الاَّ هناك

وكان الفلاحون يشتغلون قليلاً او كثيرًا بحسب نوع ما يزرعون فمن يزرع القمح أو الشعير أو الذرة مثلاً يقضي أغلب أوقاته في النوم والكسل لأنها لا تحتاج لخدمة دائمة بينما يرى

المشتغلون بزراعة الخضراوات منهوكي القوى لأن الخضراوات تحتاج للري بالشادوف من يوم الى آخر ومتى أهمل ريها ماتت

وكانوا يزرعون بعد الفيضان كثيراً من الحبوب والنباتات والخضراوات

وكان القمح والشعير يزرعان بكثرة في جميع انحاء القطر وكان الأول على قول ديودوروس الصقلي يحصد بعد خمسة شهور من زرعه والثاني بعد أربعة شهور وكان أجود أنواعه يستخرج كما يقول بليني من جهات طيبة



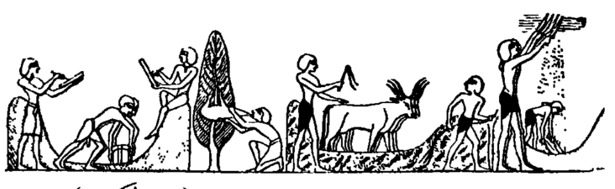
(عن ولكنصن)

شكل ٨ — منظر حصاد القمح والذرة نقلا عن آثار طيبة

وكانوا عند الحصد يقطعون السنابل مع أجزاء صغيرة من السوق بالشرشرة ويربطونها حزماً ويضعونها في سلال مصنوعة من سعف النخل او في شباك مصنوعة من الحبال الرفيعة وينقلونها الى مكان الدراس على حمير أو يحملونها على الاكتاف

وكان يمشي وراء الجماعين نساؤهم ليلتقطن السنابل التي تقع

منهم ويضعنها في سلال صغيرة ويتوجهن بها الى أماكن الدراس (الأجران) وانما كان محتماً على الفلاحين ان يرسلوا مع واحد منهم الى صاحب الأرض قبل نقل القمح الى مكان الدراس بعضاً من السنابل الجيدة ليرى بعينيه محصول أرضه ويثني على فلاحيه ويكافئهم بنسبة ما أبدوه من الجد والنشاط



(عن ولكنصن)

ش ٩ — منظر الدراس والتذرية
نقلا عن آثار طيبة

أما مكان الدراس فكان عبارة عن قطعة أرض صغيرة مسطحة قريبة من المزارع او الشون المعدة لتخزين الحبوب. وكانت قبل أن تنقل اليها أحمال القمح تكنس جيداً ثم توضع عليها السنابل وتطلق عليها المواشي — حمير أو ثيران — لتدوسها بأرجلها وتدرسها وكنت ترى الفلاحين في أثناء ذلك جالسين بالقرب منها يصفقون بأيديهم وينشدون ويعزفون على ذوات الأوتار وقد عثر شامپوليون *Champollion* في بعض المقابر على مثال مما كانوا ينشدونه وهذه ترجمته :

اشتغلي لنفسك . ولنفسك اشتغلي
أيتها الثيران اشتغلي لنفسك
فانما التبن لك . والقمح لأصحابك

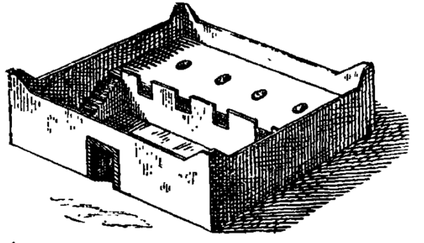
وقد وجد روسليني *Rosellini* ولبزيوس أمثلة أخرى كثيرة في المقابر التي فتحت وقرئت نصوصها وهي لا تختلف عن بعضها الاّ قليلاً مثال ذلك :

ادرسي لنفسك . ولنفسك ادرسي
أيتها الثيران ادرسي لنفسك
ادرسي فان التبن يبقى لغذائك
والقمح يأخذه أصحابك.
لا تطمعي في الراحة فان هذا اليوم طيب والهواء بارد

وكانت العادة أنهم يضيفون سنابل جديدة على السنابل المدروسة من وقت الى آخر بشوك كبيرة مصنوعة من الخشب ويستمرون على هذا الحال حتى ينتهي الدراس

وكانوا يكومون السنابل حول مكان الدراس أو في وسطه كما شوهد في كثير من الرسوم . وكان المذرون يذرون القش في أثناء الدراس بأداة مصنوعة من الخشب يقال لها المذراة (المدرة) وفي الغالب تكلف نساء الفلاحين بتأدية هذا العمل البسيط . وكانوا في

بعض الأحيان يربطون مواشي الدراس من قرونها في نير لتمشي بانتظام ويسهل على الرجل الموكول اليهِ أمر الدراس ملاحظتها . وكانت العادة الاَّ توضع كمامات على أفواه المواشي وقت الدراس وكانوا عندما ينتهون من هذه العملية يرسلون أحدهم الى صاحب الأرض حاملاً عينة من القمح ليراها بعينيهِ ويشكر الإله مين (إله الزراعة) على ما جاد بهِ عليهِ ويقدم اليهِ القرابين ثم بعد أن يعود الرسول بالأمر يشرعون في نقل القمح الى المخازن (الشون) بحضور الكيال والكاتب . وكانت هذه الشون على نوعين اما بهيئة ساحات مربعة مسورة بأسوار من الطين والجزء منها سقف مسطح له نوافذ صغيرة يمكن الصعود اليهِ بسلم ليجلس فوقه الكاتب وأمامه أدوات الكتابة أثناء تخزين القمح كما ترى في الشكل التالي[1]

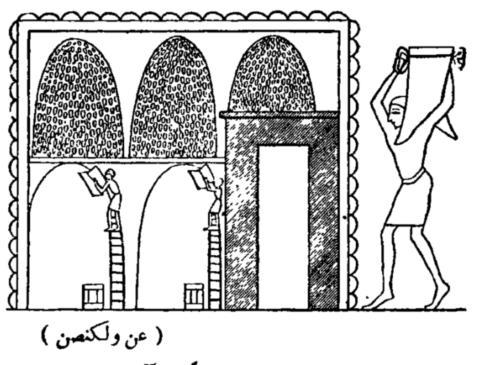


(عن برو وشيبيه)

ش ١٠ — رسم شونة بمتحف اللوفر

(١) يوجد بالمتحف المصري نماذج كثيرة من هذه الشون يمكن التفرج عليها

أو كانت عبارة عن ساحات مسورة بأسوار من الطين وفي داخلها صف أو صفان من المباني المخروطية الشكل لا يزيد ارتفاع كل كل منها عن ستة عشر قدماً وعرضه عن ستة أقدام ونصف وفي أعلى البناء نافذة لتفريغ القمح منها وفي أسفله أو في وسطه نافذة أخرى تفتح عند ما يراد أخذ قمح منهُ كما ترى في الشكل التالي



(عن ولكنصن)

ش ١١ — رسم شونة نقلاً عن آثار طيبة

وكان الحمالون يصعدون الى النوافذ العليا بسلالم ليفرغوا القمح منها ويسدونها بعد ذلك سدًّا محكماً

وكانت طريقة تخزين القمح أن يكيل الكيال القمح في مكاييل مصنوعة من الخشب ويفرغهُ في عدول يدفعها الى الحمَّالين ليذهبوا بها الى الشون ويفرغوها فيها وهناك يكتب الكاتب في دفترهِ عدد العدول التي جاءَ بها الحمَّالون. وأحياناً ينتدب المالك

أحد نظار زراعته لمراقبة الكيل والنقل والتخزين وهذا الناظر يلقن الكاتب ما يجب أن يكتبهُ في دفترهِ ويراجع عمله منعاً لوقوع غش أو حدوث سرقة . وكنت ترى في أثناء التخزين جماعة من الكنَّاسين واقفين وبأيديهم مكانس صغيرة يجمعون بها من الأرض القمح الذي يسقط من الحمَّالين ويغربلونه ثم يضمونه الى القمح الذي تخزَّن

وكانوا بعد الانتهاء من الحصاد يشرعون في تهيئة الأرض لزراعة ما يريدون زرعه من النباتات الأخرى فيعزقون الأرض ويبذرون الحبوب ويطلقون الخنازير لتغطيها ويروون الأرض بالشودايف من وقت الى آخر

وكان كثيرون منهم يستغنون عن زراعة القمح ويزرعون بدلاً عنهُ نباتات أخرى نافعة للغذاء وذلك بحسب نوع التربة

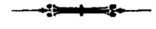
وكانوا يعتنون كثيراً بزراعة الذرة[1] بدليل الرسوم العديدة التي

---

(١) يذهب چوريه الى أن النبات الذى وجد رسمه فى الآثار وقلنا عنه هنا أنه الذرة هو غير ذلك معتمداً في قوله على أن النبات الذي وجد لا يشبه في طوله ولا شكل رؤوسه الذرة فضلاً أنها (أي الرؤوس) قصيرة ومستديرة في الرسم بينما رؤوس الذرة الرفيعة مائلة وبشكل العناقيد . ويزعم شوينفورث ان الرسم الذي وجد يشير الى حصاد الكتان لا الذرة كما يظن أغلب علماء الآثار مع العلم بأن الأداة المستعملة للتقطيع تشبه فى شكلها الأداة المستعملة لتمشيط الكتان

شوهدت في الآثار وقول هيرودوتس في وصف عادات المصريين «بينا يصنع سائر الناس خبزهم من القمح والشعير يصنعه المصريون من الذرة» وانما كانوا لا يجمعونها بالشرشرة كالقمح والشعير بل كانوا يقتلعونها بسوقها ويجمعونها حزماً ويذهبون بها الى مكان تظله شجرة جميز كبيرة وفيهِ أداة على مثال الشوكة ذات أسنان مصنوعة من المعدن يمررون عليها كيزان الذرة فتقطعها كما شوهد في منظر زراعي مرسوم باحدى المقابر

هذا كل ما وصل الينا عن كيفية زراعة القمح والشعير والذرة وهو وإن يكن قليلاً الاَّ أنهُ يصوّر لنا الطريقة تصويراً دقيقاً ومن شاء زيادة ايضاح فعليه بزيارة آثار الوجه القبلي فان فيها مناظر زراعية كثيرة تستوقف النظر وتستوجب الدهشة والعجب



الفصل الخامس

الأشجار والنباتات والأعشاب المصرية

قال الدكتور رينو موشلر *Dr. Reno Muschler* في كتابه « النباتات المصرية » ان تاريخ الاكتشافات النباتيـة فى مصر ينقسم الى حقبتين تبتدئ احداهما سنة ١٧٦١ وهي التي زار فيها العالم فورسكال *Forskal* لأول مرة مصر وتنتهي سنة ١٨٦٧ وهي التي وضع فيها أشرصن *Ascherson* وشوينفورث *Schweinfurth* (يلفظونها شوَينفُتْ) كتابهما الخاص بالنباتات

ولقد زار كثير من علماء النبات في هذه الحقبة مصر من أجل البحث والدرس ولهذا يصح أن تسمى بعصر البحث

أما الحقبة الثانية التي تبتدئ سنة ١٨٦٥ ولم تنته بعد فيمكن تسميتها بالعصر الذي أقام فيهِ الطبيعيون طويلاً بمصر

ولا جدال في ان أول وأهم سياحة نباتية هي سياحة فورسكال (١٧٦١ — ١٧٦٢) وقد جمع فيها معلومات كثيرة وفوائد عظيمة دوّنت بعد وفاته في كتاب « النباتات المصرية العربيـة »

Flora ægyptiaco-arabica الذي حوى وصف كثير من النباتات المجهولة وصور البعض منها

وحدث في سنة ١٧٩٨ أن ارسالية فرنساوية بقيادة ناپوليون الأول قدمت الى مصر للبحث وكان يرافقها العالم النباتي دليل *Delile* فجمع كثيرًا من النباتات المصرية وطبع صورها في أطلس النباتات المسمى Flore d'Egypte ووصفها وصفاً حسناً في كتاب اسمه Florae ægyptiacae Illustratio

ولقد كان من نتائج طبع هذين الكتابين أن وجدت في العالم النباتي حركة كبرى وشرع كثير من علماء النبات المعروفين أمثال كايو وسيبير وهمپرك واهرمبرج وساكو وپروتشي وأسربي وأوخر إلوي وبوفيه وشمپر وكوتشي في البحث والاستقراء . ثم حذا حذو هؤلاء العلماء الأفاضل فيجاري بك الشهير واستفاد من مجموعته في هذا الموضوع كثير من العلماء المتأخرين

وفي سنة ١٨٤٦ زار ادموند بواسييه مصر باحثاً أيضاً وجاءها بعدهُ سامارتيني وكوتشي وأخيرًا ظهر في سنة ١٨٦٧ كتاب في النباتات للعالمين شوينفورث وأشرصن حوى مباحث واكتشافات من تقدموهما من العلماء

وبعد عشرة أعوام ظهر لهما كتاب آخر جليل اسمه

Illustration de la Flore d'Egypte هو (وسيبقى على ظني الى ما شاءَ الله) المؤلف الذي يعتمد عليـهِ كل كاتب في هذا الموضوع إذ يشتمل على وصف ١٢١٥ نوعاً من النباتات

وظهر بعد هذا الكتاب مؤلف آخر جليل للعالم سيكنبرجر *Sieckenberger* وهو خاتمة المؤلفات الثمينة في هذا الموضوع

وعلى هذه المؤلفات وبعض كتابات المتقدمين مثـل پليني وثيوفراست وديوسقوريدس وهيرودوتس وپروسپر البن وقليل من المتأخرين مثل برون وپليت ووُنج ومولدنك ولوُرنج وپتري وإيبرس وماسپرو اعتمد ڤيكتور لوريه أُستاذ المحاضرات الإجيپتولوجية بجامعة الآداب بليون (فرنسا) في وضع كتابه النفيس المسمى «النباتات الفرعونية» La Flore Pharaonique.

وهذا الكتاب هو الذي اعتمدت عليهِ في وضع الفصل النباتي من كتابي هذا مع إضافة الأشياء المهمة التي وجدتها في القسم النباتي وبعض الأقسام الأخرى من كتاب «أخلاق وعادات المصريين القدماء» للسير جاردنر ولكنصن

ولبيان أهمية هذا الكتاب أقول ان أغلب الذين كتبوا أخيرًا على النباتات الفرعونية — ومنهم أستاذنا كمال بك — نقلوا أو ترجموا عنهُ. وعلى كل حال لم أذكر إلاَّ المهم جدًّا من هذه النباتات

وقد بذلت كل ما في وسعي حتى لا أقع في خطأ وقع فيهِ كاتب مصري أو أجنبي قبلي . وها هي النباتات التي اخترتها للكلام عليها وهي ما من صحة المعلومات التي وردت بخصوصها :

الكتان والقطن [١]

الكتان ويسمى باللسان النباتي Linum usitatissimum (لينوم أوسيتاتيسيموم) وباللغة القديمة المصرية محي أو محو نبات كان يزرع في مصر لتصنع منه الملابس واكفان الموتى . وقد دلَّ الفحص المجهري الذي أجراه كثير من علماء النبات مثل اوري وبوئر وثومپصن على ان جميع الأقمشة التي وجدت في المقابر والأماكن الأثرية مصنوعة منه لا من القطن كما قال بعض علماء الآثار . وذكر لوريه في كتابه « النباتات الفرعونية » أن العالِم شوينفورث *Schweinfurth* وجد في بعض مقابر الأسرتين الثانية عشرة والعشرين كمية من جوز الكتان وان العالِم أُنجر

(١) اعتمد المؤلف كثيرًا في ضبط الأسماء العربيـة على معجم النباتات المسمى Arabische Pflanzennamen aus Aegypten Algerien und Jemen لمؤلفه الأستاذ شوينفورث طبع برلين سنة ١٩١٢ — وهذا المؤلف مكتوب باللغات الالمانية والنباتية والعربية (مع ملاحظة ان الألفاظ العربية مكتوبة بحسب نطقها بأحرف افرنجية)

وان *Unger* وجد قطعاً من الكتان في طوبة بهرم دهشور وان الاستاذ فلندرس پتري *Fl. Petrie* وجد بزور الكتان في مقبرة من أعمال الأسرة الثانية عشرة وقد ذهب بعض العلماء الى ان الكتان الذي كان يزرع في مصر هو من النوع المعروف باللينوم هوميلي L. humile لا الأوسيتا تيسيموم. وكان المصريون القدماء يسمون نسيج الكتان بالمعك واشتهروا بصناعة المنسوجات الكتانية وكانت الأمم المعاصرة لهم تتهافت على شرائها . وذكر استرابون ان مدينة خميس كانت مشهورة بصناعة هذا النوع وانها حافظت على شهرتها لغاية الفتح الروماني

ويستدل على جودة هذه المنسوجات من بعض الأغاني القديمة فقد جاء باحداها : (شعر معرَّب نثراً)

« عند ما يجيء وقت تهيئة الفراش ،
ضع أيها الخادم كتاناً ناعماً بين ساقيها ،
وحضّر لها فراشاً من الكتان الملوكي ،
وليكن من النوع الأبيض المطرَّز ،
المرشوش بأجود أنواع الزيت . »

وقد تكلم پليني على صناعة الأقمشة الكتانية فقال : « تغطس سوق النبات في الماء وتترك في الشمس بعد أن توضع فوقها أثقال

لتمنعها من الصعود الى سطح الماء لأنها خفيفة ثم تستخرج من الماء وتقلب تحت أشعة الشمس لتجف و بعد ذلك تضرب بدقات فوق كتل من الأحجار وانما يلاحظ ان الجزء القريب من القشر أقل جودة من الجزء الداخلي ولا تصنع منه غير فتايل المصابيح وتمشط السوق[١] بعد دقها بأمشاط من الحديد وذلك من أجل انتزاع القشور وهنا يلاحظ ان الجزء الداخلي أشد بياضاً وأجود نوعاً من الجزء القريب من القشر ..... ولا يخجل الرجال من تحضيره ... وبعد غزله يصقل بضر به على حجر صلب مندًى بالماء. وبعد نسجه يضرب مرة أخرى بنبابيت لأنه كلما ضرب تحسن نوعهُ »

وقد وجدت الأمشاط التي ذكرها پليني في بعض المقابر وضمت الى مجاميع الآثار والعاديات بالمتاحف

وكان الكتان يزرع في كثير من مدن القطر وانما اشتهر بزراعته على الاكثر تنيس وپيلوزه (الطينة) وبوتو وتنتيرا

وكان يصنع منه أربعة أصناف وهي الكتان البوتيكي نسبة الى بوتو والكتان التنيتيكي نسبة الى تنيس والكتان التنتيريكي

---

(١) جاء بسفر أشعياء النبي في الأصحاح التاسع عشر ما يأتي: « ويخزى الذين يعملون الكتان المشط والذين يحيكون الأنسجة البيضاء »

نسبة الى تنتيرا والكتان البيلوزيكي نسبة الى پيلوزه

وقد أتقن المصريون صناعـة التخييش والتطريز بأسلاك الذهب والرسم بالإبرة وتوجد قطع من الكتَّان مخيشة ومطرزة ومشغولة بالإبرة يعجز اليراع عن وصفها لجودتها ودقة صناعتها ويوجد بعضها في دار التحف المصرية ويستطيع كل انسان أن يراها بذاتها وبذا يغنينا عن وصفها

ونظرة ترينا أن ما كان يصنع من هذه المنسوجات كثير جدًّا لأَنهُ كان مستعملاً للبس وتكفين الموتى وتغطية أثاث الدور وهلمَّ جرًّا . فضلاً أن كثيرًا منهُ كان يصدَّر الى الأقطار الأجنبية. ولا



(عن ولكنصن)

شكل ١٢ — رسم نول يشتغل عليه رجل
وبعض غزالين يغزلون نقلا عن آثار بني حسن

يمكن التسليم بأن تلك المنسوجات الجيّدة التي ذاعت شهرتها في الأقطار من عمل النول المصري البسيط الذي رأينا رسمه في كثير

من الآثار وإنما لا يمكن القول أيضاً بأن هذه المنسوجات لم تصنع فيه لأننا لم نجد في الآثار ما يثبت أنه كان موجوداً عندهم آلات للنسج خلافه

وكان الغزل على ما يظهر لنا من فحص الرسوم التي وجدت في الآثار بالأيدي والمشتغلون بالنسج خليط من الرجال والنساء لا الرجال فقط كما توهم هيرودوتس وغيره من المؤرخين (راجع صفحة ١٥ من هذا الكتاب)

وقد قيست بعض الأكفان التي وُجدت على الموميات فوجد ان كثيراً منها يزيد على ألف ياردة في عرض ثلاث أو أربع بوصات وكانوا يوصلونها ببعضها بواسطة الغراء

وكانت الموميات تغطى أحياناً بغطيان مصنوعة من عدة طبقات من الكتان ملصقة ببعضها بواسطة مادة صمغية بحيث يتصور الناظر اليها انها مصنوعة من طبقة واحدة . وهذه الغطيان كانت تدهن عادة بمادة يسهل الكتابة والرسم بالألوان عليها

وقد اكتشفوا طريقة لتلوين المنسوجات الكتانية بالألوان الزاهية وقد أراد بعض العلماء أن يعرفوا ما اذا كانت تلك الألوان ثابتة أم لا فغسلوا بعض المنسوجات الملونة وعاملوا بعضها بالأحماض فلم يؤثر فيها الغسيل ولا المعاملة بالأحماض. ويستدل من ذلك على

ان المصريين القدماء كانوا يعرفون أصول الكيمياء خصوصاً وانهُ أمكنهم أن يصنعوا أصباغاً لا تؤثر فيها الحوامض . وقد تكلم بليني على الصباغة فقال : « رأيت المصريين ينقشون الأقمشة بطريقة في غاية البساطة ولم أرهم يستعملون الألوان للصبغ بل المواد التي تزيل الألوان والنقوش . فهم يضعون الأقمشة في سائل ساخن مركزْ بالمواد الكيماوية ثم يستخرجونها منهُ وقد اكتسبت لوناً وما هي الاَّ برهة صغيرة حتى تظهر عليها أشكال ورسوم في غاية الابداع »

وبينما كانت المنسوجات الكتانية لباس الخاصة من المصريين كانت المنسوجات الصوفية لباس العامة منهم. وكان الكهنة لايلبسون غير الملابس الكتانية عند دخولهم الهياكل أما في الخارج فكان مصرَّحاً لهم لبس الملابس الصوفية فوق الملابس الكتانية . وعذرهم في عدم لبس الملابس الصوفية في الهياكل انها نجسة أو بعبارة أخرى تساعد على تكوين الحشرات القذرة في الجسم ولا غرابة في ذلك فان من لا يدع فرصة تفوته لحلق شعره وتنظيف جسمه لا يرضى بلبس رداء مصنوع من نوع المادة التي يحاول دائماً أن يتخلص منها لقذارتها لا سيما وانها تساعد على تكوين الحشرات القذرة النجسة

وكان محظوراً على المصريين دفن موتاهم في اكفان مصنوعة من الصوف خشية أن تتكوّن فيهـا على توالي الأيام الحشرات التي تعرّض الجثث للتلف والفناء

هذا ما عرفناه عن الكتان أما القطن ويسمى باللسان النباتي Gossypium herbaceum (جوسّيپيوم هرباسيوم) فقد ذكر لوريه انه وجدت بعض بزوره في مقبرة مصرية قديمة ونقلت الى متحف فلورنسا وقد فحصها الدكتور پ. هانارد *Dr.P.Hannard* فوجدها من النوع المعروف باسم G. religiosum (جوسّيپيوم ريليجيوزَم)

وذكر الدكتور كنريك أن العالم روسليني وجد بعض بزور القطن في قبر لم يسبقه الى فتحه أحد[١]

وقد ذكر پليني ان الكهنة المصريين وان كانوا قد جعلوا لباسهم من المنسوجات الكتانية الاَّ أنهم كانوا يميلون أيضاً لاستعمال المنسوجات القطنية ويتخذون منها ملابس. فضلاً أنهُ جاء في حجر رشيد ان الحكومة كانت تقدم الى الهياكل هدايا من الملابس القطنيـة

---

(١) يشك جناب المستر جرالد ددجن فى وجود القطن بمصر فى أيام الفراعنة

وكانت الأقمشة ترسل بعد نسجها الى «بيت الفضة» وهناك تتصرف بها الحكومة كما تريد فتقدم منها للكهنة والملك والبلاط الملكي وكبار الموظفين ما يلزمهم وتبيع للأهالي ما يحتاجون اليه منها وتصدّر الباقي الى الأقطار الأخرى

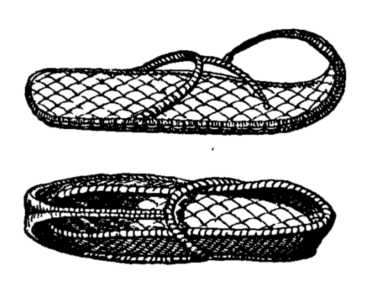
(استطراد) ذكر في كتاب «حوادث الماضي» أن شاعراً مصرياً رأى مرة رجلاً يشتغل على النول فرثى لحاله وقال فيه شعراً هذا تعريبه :

« النسّاج داخل الدور أشد تعساً من المرأة
ركبتاه عند قلبه
لا يشم النسيم ،
اذا نسج قليلاً في اليوم أُلقي كزنبقة في بركة ماء ،
انه يرشي حارس الباب بكسرة خبز ليسمح لهُ برؤية نور النهار . »

وهو يعني بذلك أن النسّاج إن لم ينكبّ على العمل ويشتغل بهمة لا تعرف الكلل يموت جوعاً . ويظهر من هذه العبارة أن أجرة النسّاج كأجرة الفلاّح كانت صغيرة جداً وبكل صعوبة كان يحصل على ما يكفي لشراء حاجاته الضرورية

البردي (الغافر)

البردي ويسمى باللسان النباتي Cyperus Papyrus (سيپيروس پاپيروس) وباللغة المصرية حا على ما يظن البعض هو نبات مصري مائي كان يزرع أولاً في أقسام الوجه القبلي ثم زرع في كثير من أقسام الوجه البحري واشتهر على الخصوص قسم تب نتر (سبنّيتس) بزراعته . وهذا النبات كان يستعمله الفقراء غذاءً والطريقة هي أن يقطعوا الجزء الأسفل من سوقه مما يلي الجذر ويمصونه أو يسلقونه ويأكلونه . وكانوا بخلاف ذلك يصنعون من سوقه اللينة سلاّت ونعالاً وحصراً وأقفاصاً



(عن ولكنصن)

شكل ١٣ — نعلان مصنوعان من البردي موجودان بمتحف برلين

وفحماً جيداً وقوارب خفيفة للسير بها في الترع وذكر لوريه أن الصندوق الذي وضع فيه سيدنا موسى وهو طفل وألقى في اليم

كان مصنوعاً من البردي ومطلياً بالقار

وكان أهم شيء يصنع من البردي القراطيس اللازمة للكتابة وتسمى عند المصريين القدماء باسم دچامع وقد تكلم پليني على كيفية عمل تلك القراطيس فقال « تقطع أطراف السيقان ويشق كل منها نصفين بالطول وتفصل قشوره عن بعضها بابرة وتوضع في الشمس لتجف ثم تعطَّن وتدَق وتجفف مرة أخرى ثم تفرش بجوار بعضها على هيئة الحصير وتدهن بالغراء ثم توضع طبقة منها متعاكسة فوق طبقة أخرى ثم تدق الطبقتان بلطف لتنفرطح القشور ويملأ الفراغ الذي يوجد بينهما ثم تكبس وتجفف جيداً وتدهن بزيت الشربين أو ما يماثله ثم تصقل حتى تصير ملساء »

ويلاحظ أنه كلما كانت القشور أقرب الى المركز ازداد الورق بياضاً وجودة

وقد انعدم هذا النبات الآن من مصر وانما لا يزال موجوداً في بلاد الحبشة ووجوده فيها يؤيد مذهب القائلين بأنه كان موجوداً في الأصل بالدلتا ثم انتقل منها الى الصعيد فأعالي النيل فالحبشة ونحن لا نؤيد هذا المذهب ولا نسلم بصحته

ويظن ولكنصن أن الناس استعملوا البردي في صناعة

القراطيس لغاية آخر القرن السابع ثم استبدلوه بأنواع أخرى من الورق

وكانت مدينة سايس (صا الحجر) أهم مركز لصناعة هذه القراطيس

وقد جرَّب هيرون السيراقوسي *Hiéron de Syracuse* زراعته في جزيرة صقلية فنجحت وهو موجود فيها الآن بكثرة

وكانت الحكومة الفرعونية محتكرة زراعة البردي وبيعه وقصرت زراعته على جهات قليلة لترتفع عند الأهالي قيمته

وقد لاحظ إرمان أن ورق البردي لا بدّ وأن يكون غالي الثمن جداً لأن علماء الآثار عثروا على كثير من القراطيس كانت مكتوبة ثم مسحت الكتابة التي عليها وكتب غيرها . هذا فضلاً عن أن المسائل غير المهمة كانت تكتب على أشياء رخيصة الثمن كالخزف والحجر الجيري

وفي متاحف مصر وأوروبا كثير من الادراج البردية وهي سريعة الكسر والتلف وأحسن طريقة لفتحها وحلّ رموزها هي وضعها بالقرب من بخار الماء وفردها بغاية الاعتناء

وقد وجدت سوقه وأزهاره في توابيت بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وكان يرمز به عن الوجه البحري

اللوطس (البشنين)



(عن ولكنصن)
ش ١٤ — رسوم نباتات منقولة عن آثار طيبة وأغلبها بردي ولوطس

اللوطس ويسمى باللسان النباتي Nymphéacées (نيمفياسس) على ثلاثة أنواع وهي اللوطس الأبيض واللوطس الأحمر واللوطس الأزرق . وسمي عند النباتيين بنيمفيا لأنه ينبت في الأنهار والمستنقعات

أما اللوطس الأبيض ويسمى بالبشنين الخنزيري أو عرائس النيل أو السوسن وباللسان النباتي Nymphæ Lotús (نيمفيالوطس) فقد وجد مرسوماً على كثير من الآثار القديمة وفي لوحة عثروا عليها باحدى مقابر منفيس . والمتأمل في تلك اللوحة يجد هذا

النبات واضح الأجزاء بحيث يتأكد لأول وهلة انهُ كان منزرعاً في مصر من أيام بناة الأهرام

وقد وجدت بخلاف هذه الرسوم أزهار النبات نفسها في كثير من المقابر وكذلك اكليل كامل منها على جثة رمسيس الثاني الفاتح الشهير وايضاً في مقبرة من أعمال الأسرة الثانية عشرة بكاهون

وقد ذكر فكتور لوريه في كتابه « النباتات الفرعونية » ان هذا النبات كان مستعملاً عند المصريين القدماء كمرطّب فضلاً انهُ كان مستعملاً كزينة للبيوت ولشعور السيدات في الاحتفالات وللتهادي بهِ (بدل الورد عندنا) في المجتمعات بدليل النشيد التالي الوارد في تاريخ دؤميخن *Dümichen* :

(شعر مصري معرّب)

« احتفل بهذا اليوم السعيد ،

وشم روائح العطر وزيوته ،

وضع اكاليل من زهر البشنين على ساقيّ اختك وصدرها ،

تلك المقيمة في قلبك ،

الجالسة بجانبك ،

ومر الموسيقى بالعزف والمنشدين بالغناء ،

ولا تهتم بشيء بل اغتنم فرص اللذات ،
قبل ان يجيء اليوم الذي نقترب فيهِ من الأرض ،
التي تألف السكون »

وقلما تُرى سيدة من عصر الرمسيسيين بدون تاج ملفوف عليهِ هذا النبات لفاً حلزونياً بحيث تصل أزهاره الى ما فوق حاجبيها بقليل .

وكانوا يأكلون جذوره مشوية ومسلوقة ويصنعون من بزوره كما يقول هيرودوتس وكما ورد في بعض النصوص القديمة فطيراً يأكلونه كحلوى

اما اسم اللوطس الأبيض عند المصريين القدماء فهوسوشن وهو قريب من الاسم العبري شوشن والعربي سوسن وإن يكن الاسم الأخير يطلق في الغالب كما يقول دِليل *Delile* وشوينفورث على النوع المعروف بالپانكراتيوم ماريتيموم Pancratium maritimum

ولا يزال هذا النبات موجوداً ولكنهُ لا يستعمل عند المصريين في أيامنا هذه للغذاء أو الزينة

اما اللوطس الأحمر ويسمى ايضاً بالبقلي القبطي وعند النباتيين Nelumbium speciosum (نيلومبيوم سپيسيوزوم) فقد تكلم

عليه جميع المؤرخين الذين تكلموا على مصر . وقد جاء بكتاب «النباتات الفرعونية» ان ثيوفراست *Théophraste* وصف أثماره فقال انها كثيرة الثقوب مثل مصفة الرشاشة ولأزهاره وريقات تويجية وردية سماها هيرودوتس زنابق النيل الحمراء أو عرائس النيل وأوراقه درقية مستديرة على شكل القبعة المستديرة . وتكلم عليه استرابون ايضاً بحيث يفهم من وصفهِ ووصف ثيوفراست ان هذا النبات كان معروفاً عند المصريين القدماء . وقد وجد هذا النبات في كثير من مقابر هوارة من العصر الاغريقي الروماني ولكن لم يرَ رسمه في آثار الطبقات الفرعونيـة ويظن لوريه ان السبب في ذلك هو ان المصريين القدماء كانوا يعتبرونه مقدساً كما هو حاصل في الشرق الأقصى وهو يزعم ان الفول الذي كان محرماً اكله عند قدماء وادي النيل ليس هو الفول المعروف عندنا بأسم Vicia Faba (فيسيـا فابا) بل هو ثمر اللوطس الأحمر المقدس بدليل ورود الفول في الوصفات الطبيـة ووجود عبارة في الآثار تفيد بأن رمسيس الثالث قدّم كمية كبيرة منه هدية لكهنة طيبة . وهو يعلل قول هيرودوتس «انني رأيت في مصر قوماً يأكلون حبوب عرائس النيل ناشفة وغضة » بأن القوم الذين رآهم يأكلونها ليسوا اتقياء

ولم يكن مقدساً من أنواع اللوطس الثلاثة غير النوع الأحمر. وكانوا ينحتون رؤوس أغلب العمد في الهياكل والدور على مثال اللوطس الأحمر دون سواه

وسواء كان هذا النوع موجوداً في مصر الفرعونيـة أو غير موجود فان اسمه ورد في أغلب النصوص الدينية . أما اسمه فكان أولاً «نحب» ثم تحرَّف فصار «نخب» وبعد ذلك تحرَّف أيضاً فصار « نشب » . وكان أول وروده ضمن النصوص الدينية بهرم پپي الأول أحد شهيري ملوك الأسرة السادسة المنفيـة (نسبة الى منفيس)

وقد وُجد اللوطس الأحمر على عصبة الإله نفرتوم فضلاً ان المصريين القدماء كانوا يصنعون منه مهد الإله هوروس في صباه وهو الذي يرمز بهِ عن الشمس المشرقة

ويلاحظ ان معظم أزهار البشنين تنقبض عند تخييم الظلام وتغور في الماء حتى تشرق عليها شمس الصباح فتخرج منه وتفتح ثانياً . وهذه الخاصية هي التي جعلت اللوطس الأحمر يلعب دوراً كبيراً على مرسح الديانة المصرية. وهي ايضاً التي جعلت المصريين يرمزون بهِ للشمس المشرقة ولهذا السبب كرَّسوه للإله هوروس

وقد اختفى اللوطس الأحمر من مصر في هذه الأيام وانما

لا يزال موجوداً في قارة آسيا وهو ينبت فيها بكثرة . ويظن شوينفورث ان السبب في انعدام هذا النوع من مصر تغيُّر الطقس ولست أظن ان لقوله هذا نصيباً من الصحة ولو جربت زراعته الآن فيها لنجحت

وقد سمى ابن البيطار هذا النوع بعدة أسماء منها الفالس القبطي والجامسة

اما اللوطس الأزرق أو البشنين الأعرابي واسمه عند علماء النبات Nymphæa cærulea (نيمفيا كائروليا) وعند المصريين القدماء ساربات فقد جاء بكتاب « النباتات الفرعونية » ان أثيني *Athénée* هو الكاتب الوحيد الذي تكلم عليهِ . فمن ضمن أقواله « ان اللوطس المصري على نوعين يتميزان عن بعضهما باللون — احدهما يشبه في شكله الورد وتصنع منه الأكاليل الأنتينوانية Couronnes Antinoïennes والآخر ذو لون أزرق »

واللوطس الأزرق موجود في مصر ووصفه سافيني *Savigny* وصفاً جيداً في كتاب « وصف مصر » بالمجلد الثالث وأطلق عليهِ اسم (نيمفيا كائروليا)

وقد ذكر لوريه بخلاف ما تقدم ان شوينفورث وفلندرس بتري عثرا عليهِ في بعض المقابر . ووجد في بعض التوابيت

كثير من سوق هذا النبات وأزهاره . وشاهد شوينفورث اكليلاً مصنوعاً من فروع الكرفس Apium graveolens (أپيوم جراڤيولنس) وورق اللوطس الأزرق كان موضوعاً على مومياء كِنت التي وجدت في القرنة بطيبة القديمة . وذكر انه شاهد كثيراً من رسوم هذا النوع في الآثار القديمة

والناظر في الصور الباقية من آثار الطبقة القديمة يجد أشخاصاً كثيرين مزينة رسومهم باللوطس الأزرق . وكان المصورون يضيفون الى لونه الطبيعي ألواناً أخرى زاهية ليزيدوه بهجة

وقد ذكر دليل في كتاب «وصف مصر» ان اللوطس الأزرق على نوعين أحدهما المسمى بالنيمفيا كائروليا وأوراق ازهاره كبيرة والآخر يسمى Nymphæa stellata (نيمفيا ستلاَّتا) واوراق ازهاره صغيرة ولذا يظن ان ازهار الاكليل الذي وُجد على مومياء كِنت آنفة الذكر من النوع الأخير لأن شوينفورث نفسه لاحظ ان اوراق الأزهار فيهِ صغيرة

وقد تكلم ولكنصن على اللوطس بالاجمال فقال انه كان هو والبردي وما يماثلهما من النباتات في اثناء الفيضان وبعده من أعظم نِعم الطبيعة على الفقراء لأن هذه النباتات كانت غذاءهم الوحيد في ايام الجاهلية الأولى

الكرم والعنب

العنب ويسمى باللسان النباتي Vitis vinifera (ڤيتيس ڤينيفرا) وعند المصريين القدماء أروري هو نبـات قديم وقد وجدت رسوم عناقيده وتعاريشه في كثير من آثار الطبقة القديمة فضلاً عن زبيبه الذي وُجد بين قرابين الموتى في عدة مقابر

ولا يخلو متحف من متاحف الدنيـا من العنب . وقد وجد شوينفورث كثيرًا من ورقه في مقبرة بطيبة فليّنه بالماء الفاتر وفتحه وضمه الى مجموعة النباتات الفرعونية بدار التحف المصرية وهو من نوع الورق الذي نراه في ايامنا هذه — فقط عليهِ من السطح الداخلي زغب ابيض

وقد لوحظ ان العنب الذي قُدّم قرباناً للموتى كان من النوع الأسود اللون وفصل من عناقيده قبل تقديمه والظاهر انهم كانوا يجففونه في الشمس قبل تقديمه

وقد وجد علماء الآثار انواعاً عديدة من العنب في المقابر التي فتحت منهـا نوع اسمه العنب الدمشقي Raisins de Damas وآخر اسمه العنب القورنثي R. de Corinthe

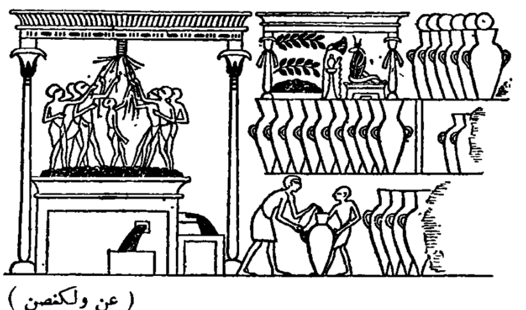
وقد وجد شوينفورث في احدى مقابر الأسرة الثانية عشرة

عنباً من النوع الأسود كبير الحب وعليهِ زغب مائل الى الزرقة . وعثروا في مقبرة بالجبلين على نوع تكلم عليهِ شوينفورث فقال انه من النوع الأسود السميك القشرة الكبير الحجم وهو يحتوي على ثلاثة او اربعة حبوب. ويستدل من الرسوم التي وجدت على جدران المقابر ان المصريين كانوا يعملون في حدائقهم تعاريش يركزونها على عمد عالية ويصنعون لها تيجان على شكل البشنين لتتسلق عليها فروع الكرم . وكانوا يكثرون من غرسهِ لزخرفة الحدائق واستخراج النبيذ . وكانوا يغرسون الكرم في حاجر الجبل لأنهم وجدوا بالاختبار ان النوع المغروس هناك اجود من سائر الأنواع المزروعة في الحدائق والاراضي المنخفضة التي تركبها مياه النيل

واشتهرت عدة مدن مصرية بصناعة النبيذ مثل مريوط وسمنود وام وانثيلا وتنيس وقفط واسوان . وكان النبيذ الذي يستخرج من تلك المدن على انواع كثيرة منها الأبيض والأحمر والاسواني والبحيري والعال والوسط ونبيذ نيحا ونبيذ سيخي ونبيذ تيخس . وكان اسم النبيذ باللغة القديمة المصرية أرپ اما الزبيب فأشِپ

وكانوا يكلفون عبيدهم وخدمهم بجمع العنب فتراهم سائرين بالسلال تحت التعاريش وكلما وجدوا عنقوداً قطفوه وعندما تمتلئ

السلال يذهبون بها الى المعاصر ليعصروا العنب ولهم في ذلك طريقتان احداهما أن يضعوه في أكياس من القماش يلفونها بعصي غليظة من الأطراف فيتساقط العصير في أوان ويترك فيها حتى يختمر أو يهرسونه بأرجلهم كما ترى في الشكل التالي ثم يجمعون العصير في طسوت يفرغونها في قدور كبيرة لتختمر فيها



(عن ولكنصن)

ش ١٥ — رسم عصر العنب وتخزينه في القدور نقلا عن آثار طيبة

وكان حصرم العنب واسمه المصري جانجاني يستعمل في الطب لمعالجة بعض الأمراض الباطنية كما جاء في قرطاس إيبرس الطبي

وقد لاحظ ولكنصن ان النبيذ كان يقدم في المواسم والاعياد والمجتمعات للنساء والبنات على السواء

وترى في الرسوم الساقيات يتقدمن الى الضيوف بالشراب ويتبعهن جوار سود ليتناولن الأواني بعد تفريغها في كؤوس الشراب ويقدمن لهن المناشف المصنوعة من الكتان المطرّز الجيد

أما الرجال فيقوم بخدمتهم وتقـديم الشراب اليهم جماعة من الغلمان

النخل والتمر

النخل ويسمى باللسان النباتي Phœnix dactylifera (فؤنكس داكتيلفرا) وباللغة القديمة المصرية بونّو أو فونّو هو شجر مصري ذكر اسمه ووجد رسمه في كثير من الآثار فضلاً ان التمر وجد في جملة مقابر وكان اسمه باللغة المصرية بنرا أما النوع المسمى عندنا بالامهات فأَمِت

وكان التمر يؤكل ويصنع منه خمر يسمونه إِرپ بنر وعسل يسمونه اني نت بنر ويدخل في تركيب الوصفات الطبية لا سيما الملينات

وكان جريد النخل واسمه المصري بعي مستعملاً في صناعة العصي والعكاكيز والأقفاص والكراسي الخفيفة

أما خوصه واسمه المصري وتو فكان مستعملاً في صناعة الحصر والسلال ونعال الموتى

وكانت افلاق النخل وتسمى باللغة المصريهُ بنبن مستعملة في صناعة العمد وتدخل ضمن أدوات البناء . أما الليف واسمه

المصري شونو بونّو فكانوا يستعملونه في الاغتسال ويفتلون منه حبالاً ويصنعون منه مماسح للأشياء الصلبة

وقد ذكر ولكنصن ان الشرقيين نسبوا للنخل وثمره ثلاثمائة وستين فائدة

وكان النخل يغرس في الحدائق ضمن أشجار الزينة بدليل عبارة قالها رمسيس الثالث وجاءت في قرطاس هريس البردي *Harris* وهي « أنشأت لك بستاناً وغرست فيه أشجار السنط والنخل وزينت حياضه باللوطس والبردي »

وقد ذكر ولكنصن ان المصريين كانوا ينثرون سعف النخل في الطرق التي تمر بها الجنازات

الدوم

الدوم أو المقل ويسمى باللسان النباتي Hyphaene thebaica (هيفينا ثبائيكا) أو Cucifera thebaica (كوسيفرا ثبائيكا) أو Douma thebaica (دوما ثبائيكا) شجر مصري قديم وجد رسمه في كثير من الآثار مع النخل وكان اسمه المصري ماما

وقد عثروا على ثمر الدوم ضمن قرابين الموتى في كثير من مقابر الأسرة الثانية عشرة لا سيما جبانة كاهون . وكان اسمه عند المصريين القدماء قوقو

وذكر استرابون ان قدماء وادي النيل كانوا يصنعون من ورق الدوم حصراً ويوجد بمتحف فلورنسا نعلان مصنوعان منهُ .
وكان الدوم مستعملاً في الطب وذكر ضمن المواد الطبية التي وردت في قرطاس ايبرس الطبي

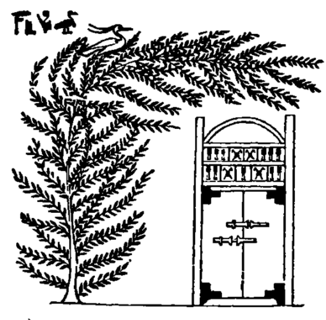
وكان الدوم من الأشجار التي تغرس لتزيين الحدائق كالنخل وكان المصريون يأكلون ثمره ويستعملون جذوعه في صناعة عمد الهياكل

الجميز

الجميز ويسمى باللسان النباتي Ficus Sycomorus (فيكوس سيكوموروس) وعند المصريين القدماء نوهي شجر قديم وجد رسمهُ في كثير من المقابر وقد عثروا على ثمره في سلال وفروعه وورقه في بعض توابيت مع المومياآت وخشبه في أبواب وموائد وتماثيل وتوابيت ونصب سكاكين من أيام الطبقة القديمة .
ويرى في رسم بسقارة رجلان فوق شجرة جميز عالية يقطفان منها الثمر ويلقيانه في سلال تحتها . وكان الجميز من الأشجار المقدسة لأنهُ كان في حمى الإلاهتين ايزيس وهاتور . ولقدمه أُطلق اسمه على مصر

وذكر اسم الجميز في مئات من الوصفات الطبية

الأثل والطرفاء



(عن ولكنصن)

ش ١٦ — شجرة الطرفاء المقدسة وعليها طير مقدس من مقبرة بمدينة هاو

الأثل والطرفاء ويسمى باللسان النباتي Tamarix nilotica (تماركس نيلوتيكا) شجر يقول هيرودوتس وپليني انه قديم في مصر وأيد قولهما عثور أنجر على طوبة بالكاب تحتوي على قطع صغيرة منه فضلاً ان شوينفورث وجد فروعاً كاملة منه في تابوت كنت من أيام الأسرة العشرين ثم عثر فلندرس بتري في جبانة هوارة بالفيوم على قطع منه

وكان اسم هذا النبات باللغة القديمة المصرية أِسر . وقد ذكر پلوتارخوس في رسالته الخاصة بايزيس واوزيريس ان هذا الشجر مقدس ومكرس لأوزيريس — ولا غرابة في ذلك فان اسمه ورد في الكتب الدينية

وكان الأثل مستعملاً في الطب كما ورد في قرطاس ايبرس الطبي

النبق (السدر)

النبق أو السدر ويسمى عند النباتيين Zizyphus Spina - Christi (ززيفوس سپينا كرستي) وعند المصريين القدماء نَبَسْ شجر تكلم عليه كثير من الكتاب المتقدمين وقد وجد ثمره في كثير من المقابر ونقل الى عدة متاحف

وقدعثر ماسپرو في الجبلين على بعض ثمره ففحصه شوينفورث. وعثر فلندرس پتري على كمية منه ضمن قرابين الموتى في مقبرة بجبانة كاهون من أعمال الاسرة الثانية عشرة

وقد ذكر لوريه ان المصريين القدماء كانوا يصنعون من ثمره خبزاً حلواً ويدخلونه في تركيب الوصفات الطبية كما جاء في قرطاس ايبرس البردي

المخيط والأهليلج

المخيط ويسمى باللسان النباتي Cordia Myxa (كورديا ميكسا) شجر مصري قديم ولا يزال يزرع في وادي النيل . وكان المصريون القدماء يسمونهُ الأشد ولا عبرة بما قاله بعض العلماء وهو ان الأَشد هو الشجر المعروف عند النباتيين بالبالانيتس إِيجپتيا كا Balanites ægyptiaca أو الاكسيمينيا إِيجپتيا كا Ximenia ægyptiaca أي الأهليلج

وقد عثروا على ثمر المخيط في بعض المقابر وعرضوه للفرجة في متاحف فلورنسا وڤينا وبرلين . وذكر بليني أن المصريين القدماء كانوا يصنعون من ثمر المخيط نبيذاً

أما الأهليلج فقد ذكر لوريه أن شوينفورث عثر على ثمره في مقابر الاسرتين الثانية عشرة والعشرين وأن فلندرس پتري وجده أيضاً في جبأنة كاهون بمقبرة من أعمال الإسرة الثانية عشرة ويظهر أنهُ كان من ضمن قرابين الموتى

وثمر الأهليلج معروض للفرجة في كثير من المتاحف وفي متحف فلورنسا عصا مصنوعة من خشبه

وقد زعم دِليل أن الأهليلج هو النوع المسمى عند القدماء پرسيا Perséa ولكن شوينفورث عارضهُ بقوله ان البرسياهي الميموسوپس شيمپيري Mimusops Schimperi وذهب ميير *Meyer* في شرحه النباتي على كتابات استرابون الى أنها الديوسپيروس مسپيليفورميس Dyospyros mespiliformis

ولم يعرف بالتحقيق الإسم المصري للبرسيا . أما لفظة شاواب الهيروغليفية التي يطلقها كثير من العلماء عليها فيظن لوريه أنها تشير الى شجر المصطكى

السنط

السنط على أنواع كثيرة منها : (١) النوع المعروف عند النباتيين باسم Acacia nilotica (أقاصيانيلوتيكا) أي السنط النيلي وهو قديم في مصر وقد وجد زهره في اكاليل على جثتي أعحمس الأول وأمنحتب (أمينوفيس) الأول من ملوك الاسرة الثامنة عشرة . وعثر أنجر على طوبة في الكاب بها قطع من خشبه

وكان اسمه المصري شنط وهو قريب من سنط وكان المصريون القدماء يصنعون من خشبه أشياء كثيرة كتوابيت للموتى وأثاث للبيوت وتماثيل وسفن وألواح لأشغال النجارة الدقية ويستخرجون منه فضلاً عن ذلك صمغاً يسمونه باللغة القديمة المصرية قامي

وقد وجدت ضمن أدوات الزينة شوك مصنوعة من خشبه وهي معروضة الآن بمتحف فلورنسا وانما ينسبها ميجلياريني *Migliarini* للنوع المعروف بالأقاصيا ڤيرا A. vera

(٢) النوع المعروف عند النباتيين باسم Acacia Seyal (اقاصيا سيال) أي الطلح وهو شجر قديم وقد ذكر في النصوص القديمة والاسم المصري الذي أُطلق عليهِ هو أش

وكان قدماء وادي النيل يصنعون من خشبه توابيت للموتى

وتماثيل وأبواباً وسفناً . ويقول لوريه ان قدماء وادي النيل كانوا يصنعون من صمغه مزيجاً وذلك بحله في الماء

وكان هذا الشجر مستعملاً في تركيب كثير من الوصفات الطبية النافعة للأمراض الباطنية وأمراض العيون

(٣) — النوع المعروف عند النباتيين باسم Acacia Farnesiana (أقاصيا فارنسيانا) وقد سماه قدماء وادي النيل برشن . وكانوا يستعملون زهره في الطب ويدخلونه في تركيب أغلب الروائح العطرية ويطلقون عليه في هذه الحاله اسم سانار

وقد ذهب شوينفورث الى أن هذا النوع أصله من أمريكا وانه لم يعرف في الدنيا القديمة الاَّ من ابتداء القرن السابع عشر بعد الميلاد ولذا لا يمكن أن يكون معروفاً عند المصريين القدماء وهو يقول ان البرشن والسانار اسمان لنوع من السنط خلاف هذا النوع وربما يكون ذلك النوع هو السمور الذي يطلقه شوينفورث على الأقاصيا سبيروكاربا A . Spirocarpa

(٤) — النوع المعروف عند النباتيين باسم Acacia arabica (أقاصيا أرابيكا) أي السنط العربي وقد وجد هو وقرونه في جبانتي كاهون المصرية وهوارة اليونانية الرومانية ويظن لوريه ان قرونه هذه كانت مستعملة في الدباغة . وانما ذهب بوناستر

Bonastre الى ان هذه من نوع آخر اسمه النباتي أقاصيا هترو كاربا
A. hetrocarpa

العرعر

العرعر ويسمى عند علماء النبات Juniperus phœnicea
(چونيپيروس فوئنيسيا) شجر قديم كان يسمى عند قدماء وادي
النيل عرو أو عنّو وقد وجد ثمره ضمن قرابين مقدمة للموتى في
مقبرتين طيبيتين احداهما بالدير البحري والأخرى بذراع أبي
النجاة . وعثر عليه پَسّالا كا *Passalacqua* في مصر وأرسله الى
متحف برلين . وهو موجود أيضاً بمتحف فلورنسا مع بعض
راتنجه وآلة لطبع الأقمشة مصنوعة من خشبه . ووجده فلندرس
پتري كذلك في مقابر هوارة

وكانوا يصنعون من خشبه عصياً ونبابيت وأبواباً وتوابيت
للموتى وبعض آلات خاصة بالصنائع ومن زهره صبغة للأقمشة
تلوّنها باللون الأزرق ويدخل أيضاً في تركيب بعض الوصفات
الطبية والروائح العطرية . والظاهر انه مجلوب من الشام من جهة
واقعة في غرب مدينة حلب اسمها المصري القديم تاتس إِت أُعن
ومعناها « ربوة العرعر » واشتهرت بزراعته بعض مدن أخرى
مثل تپ خت وتفرد

الأشجار المصرية المقدسة



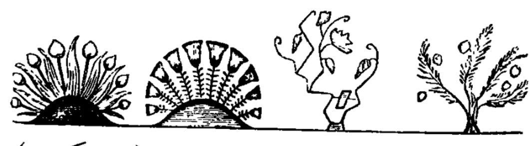
(عن ولكنصن)

ش ١٧ — نباتات وأشجار
من مقبرة رمسيس الثالث بطيبة

الأشجار المصرية المقدسة هي النبق والعرعر والسنط والمخيط أو الاهليلج و «الكبس ؟» (يظن بروكش انه السرو) والنخل و « الحن عا ؟ » والأثل أو الطرفاء و « التما ؟ » والجميز و « شجرة الحب ؟ »

وكانت هذه الأشجار مقدسة في بعض أقسام القطر دون البعض الآخر مثال ذلك النبق فانه كان مقدساً في القسم الرابع عشر والقسم الخامس عشر والقسم العشرين من الوجه البحري ولكنه لم يكن مقدساً في القسم الثامن عشر والقسم التاسع عشر والقسم الحادي والعشرين من الوجه البحري

وقد عثر ولكنصن في مقابر طيبة على رسوم بعض النباتات والأشجار التي يظن أنها من الأنواع المقدسة عند قدماء وادي النيل ولكنه لم يستطع معرفة أنواعها بالتحقيق وقد أثبتناها هنا في شكلي ١٧ و ١٨ كما وردت في مؤلفه الجليل



(عن ولكنصن)

ش ١٨ — نباتات وأشجار من طيبة وبعضها من مقبرة رمسيس الثالث

واليك أسماء الأشجار التي كانت مقدسة والأقسام التي كانت تقدّسها حسبما هو وارد في بعض الجداول المصرية القديمة

أسماء الأشجار	الأقسام التي تقدّسها
نبق	— في الوجه القبلي — الأول والثالث والسابع والحادي عشر والثاني عشر والسادس عشر والسابع عشر . — في الوجه البحري — الأول والثاني والرابع والسادس والثامن والتاسع والعاشر والرابع عشر والخامس عشر والسابع عشر والعشرون
عرعر	— في الوجه القبلي — الأول — في الوجه البحري — الثالث

سنط

— في الوجه القبلي —

الأول والثالث والسادس والسابع والعاشر والحادي عشر والثالث عشر والسادس عشر والعشرون والحادي والعشرون

— في الوجه البحري —

الأول والرابع والخامس والسادس والسابع والتاسع والثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر والحادي والعشرون

مخيط أو أهليلج

— في الوجه القبلي —

الثاني والرابع والسادس والعاشر والسادس عشر والثامن عشر والحادي والعشرون

— في الوجه البحري —

الأول والثامن والتاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والثامن عشر والتاسع عشر والحادي والعشرون

« كبس ؟ »

— في الوجه القبلي —

الثالث والخامس

نخل

— في الوجه القبلي —

الخامس والثالث والعشرون

« حن عا ؟ »	— في الوجه القبلي — الخامس عشر
أثل أو طرفاء	— في الوجه القبلي — السابع عشر
« تما ؟ »	— في الوجه البحري — الثالث
جميز	— في الوجه البحري — الخامس والسابع
«شجرة الحب؟»	— في الوجه البحري — الثاني عشر

الغـــار

الغار ويسمى باللسان النباتي Laurus nobilis (لوروس نو بيليس) شجر غير مصري ولكنه قديم في مصر وقد ذكر پليت *Pleyte* ان في متحف ليدن *Leyden* ثلاث موميات من العصور المتأخرة عليها اكاليل مجدولة من أوراق شجر الغار . وقد عثر فلندرس پتري في جبأنة هوارة اليونانية الرومانية على بقايا اكاليل ذكر نيوبري *Newberry* انها مجدولة من أوراق هـذا الشجر وانما لا يعرف اسمه المصري ولعله قريب من اسمه القبطي « أوريتا » الذي عرّب بزهر الغار كما ورد في كتاب النباتات الفرعونية للوريه

الحور

الحور ويسمى عند النباتيين Populus alba (پوپولوس ألبا) شجر قال ثيوفراست ان النوع الأبيض منه كان منزرعاً بمصر ولكن من دون كثرة

وقد ذكره دليل وفورسكال وشوينفورث ضمن النباتات المصرية مع اسمه العربي (أي حور) وعثر أُنجر على قطع من الخشب في طوبة وجدها بتل اليهودية وهو يظنها منه وان صح ظنه فتكون من النوع المعروف بالپوپولوس ألبا

ويوجد في بعض النصوص القديمة شجر اسمه المصري حارو أو حاروير وربما كان هو الحور بذاته . وقد ورد النص التالي في بعض الآثار « غابة كبيرة تظهر أمامك وتمشي بين أشجار الحاروير الذي يقف عثرة في سبيلك ولا تعرف كيف تسير » ويُظن ان المقصود بالحاروير هنا الحور

وكان ثمر الحور مستعملاً في الطب كما جاء في قرطاس ايبرس الطبي

البلوط

البلوط ويسمى عند علماء النبات Quercus Suber (كوركس سوبر) شجر يُظن أنه قديم في وادي النيل وقد عثر

فلندرس بتري في جبانة هوارة على بعض قشوره . ويقول شوينفورث ان هذا الشجر ينبت في أيامنا هذه مع نوعين آخرين منه وهما Q. pedunculata كوركس پيدونكولاتا و Q.lusitanica (كوركس لوزيتانيكا) في المنطقة البحرية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وربما كان الحال كذلك في أيام الفراعنة . وذكر ثيوفراست وپليني انه كان يوجد في قسم طيبة غابة كبيرة مغروسة بأشجار متنوعة ومنها شجر البلوط الذى نحن بصدده ويحتمل أن يكون المصريون قد عرفوه وزرعوه . وينسب ميجلياريني للنوع المعروف بالكوركس اسكولس Q. Esculus بعض أوراق كان مصنوعاً منها اكليل وجد على مومياء معروضة الآن للفرجة في متحف فلورنسا

الأبنوس

الأبنوس ويسمى عند علماء النبات Dalbergia melanoxylon (دلبرچيا ميلانوكسيلون) شجر توجد أشياء كثيرة في متاحف أوروبا مصنوعة من خشبه مثل كراسي وصناديق وتماثيل وعصي وأيادي مرايات وملاعق ومحابر للكتابة وهي مستخرجة من المقابر القديمة التي فتحها الأثريون

وأهم ما وجد في مقابر عصر بناة الاهرام اسرّة وتماثيل في غاية الدقة من جهة الصناعة

وكان الأبنوس مستعملاً كثيراً فى الصنائع فى أيام الأسرة الثانية عشرة ويذهب البعض الى أنه كان يزرع فى مصر فى أيام الطبقة القديمة ثم انقرض منها نوعه فاضطر قدماء وادى النيل فى أيام الأسرة الثامنة عشرة لاستجلابه من الخارج . وفى التاريخ ان الملكة المصرية حاتاسو (حعتشبسو) الشهيرة صاحبة الأثر الجليل المعروف بالدير البحري بطيبة استحضرته من بلاد الصومال فضلاً ان أمراء الحبشة المعاصرين للأمنوفيسيين كانوا يصدرونه دائماً لمصر

وكانت نشارة الأبنوس مستعملة في الطب كما جاء في كتابات ثيوفراست وديوسقوريدس *Dioscoride* و پليني

أما اسم هذا الشجر باللغة القديمة المصرية فهو هبني ومنه اشتق على ما نظن الاسم العربي « أبنوس »

الصفصاف أو الخلاف

الصفصاف ويسمى بلسان النباتيين Salix Safsaf (سالكس سفساف) شجر وجد اسمه المصري القديم وهو

«تاري» في كثير من الآثار . وكانت العادة أن يثنى ورقة ويخاط ويزيّن بوريقات الزهر التويجية وتصنع منهُ اكاليل لتوضع على جثث الموتى

وقد وجدت اكاليل منهُ على مومياء احمس الأول وامنوفيس الاول من ملوك الأسرة الثامنـة عشرة والأميرة نسي خنسو من الأسرة الثانية والعشرين وكذلك في مقبرة بجهة الشيخ عبد القرنة

وكان من عادات الملوك في قسم دندرة أن ينصبوا شجرة صفصاف أمام تمثال المعبودة هاتور في أحد الأعياد الدينية

الضرو

الضرو ويسمى باللسان النباتي Pistacia Lentiscus (پستاسيا لِنتِسكس) شجر معروف عند المصريين القدماء باسم شوب . وكان اسم راتنجه المستعمل كثيراً في تركيب الروائح العطرية فَتّي . وهذا الشجر يقول عنهُ الكتاب المتقدمون انهُ كان منزرعاً في الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . ويؤكد جاليان *Galien* أن الضرو كان يزرع في مصر وهذا محتمل لأن راتنجه ذكر في كثير من نصوص الطبقة القديمة لا سيما في هرم الملك پپي الأول

أما النوع المعروف بالپستاسيا أتلنتيكا P. atlantica فكان ينبت طفيلياً في مصر على ما يظنه بعض النباتيين

اللبخ

اللبخ ويسمى باللسان النباتي Balanites ægyptiaca (بالانتيس إيجيپتياكا) و Ximenia ægyptiaca (اكسيمينيا إيجيپتياكا) شجر عثر شوينفورث على بعض أثماره في مقابر الاسرتين الثانية عشرة والعشرين وكذلك عثر فلندرس پتري في جبأنة كاهون على كثير منهُ والظاهر أنهُ كان يقدم قرباناً للموتى

وهذا الثمر معروض للفرجة في أغلب متاحف العالم وفي متحف فلورنسا عصا مصنوعة من خشبه

اليسار

اليسار شجر يسمى عند النباتيين Moringa aptera (مورنجا أپتيرا) وقد وجد شوينفورث حبة منه في مقبرة بذراع ابي النجاة . وفي متحف فلورنسا بضع قرون وحبوب منه فضلاً أن فلندرس پتري عثر على بقايا منه في هوارة

ويقول شوينفورث ان هذا الشجر كان مزروعاً بكثرة في صحراء طيبة الشرقية وكان يستخرج من ثمره زيت ثمين يدخل في تركيب الروائح العطرية

وكان اسم اليسار عند المصريين القدماء « نبق » وقد ذكر هذا الإسم في نصوص الأسرات القديمة

وقد ذكر في تلك النصوص ايضاً اسم الزيت المستخرج منه وهو « بقي » وكان هذا الزيت على نوعين أحمر وأخضر وهذا يذكّرنا بقول پليني ان زيت الميروبالانوم Myrobalanum أحمر في مصر وأخضر في بلاد العرب

أما لفظة ميروبالانوم فهي الإسم الذي أطلقه پليني على اليسار وهو ايضاً الذي سماه بالجلانس ايجيپتيا Glans ægyptia

الخرنوب

الخرنوب ويسمى باللسان النباتي Ceratonia Siliqua (صيراتونيا سيليكا) شجر قال عنهُ ثيوفراست انهُ كان يسمى عند القدماء « تين مصر »

وقد وجد فلندرس پتري في مقابر كاهون وهوارة قرون الخروب وبزوره ووجد أنجر في لوحة رسم خروبة ضمن قرابين مقدمة للموتى

وعثر كوتشي Kotschy على عصا في تابوت أثبت الفحص المجهري أنها مصنوعة من خشب الخرنوب

وكان الإسم المصري القديم لثمر الخرنوب « دچار ودچ » و « جاروتا » ويستدل من نطقـه على أنهُ غير مصري الأصل وهذا بخلاف إسم الشجر ذاته (نوتم) فانهُ قديم جداً ووجد بجانب رسم الخرنوب في كثير من آثار العائلات المنفية .

وقد ذكر ثمر الخرنوب في قرطاس ايبرس الطبي ضمن المسهلات وهذه الخاصية نسبها فيما بعد ديوسقوريدس وپروسپر ألپن وجالينوس وپليني وجارجيليوس مارتياليس لثمر الخرنوب الجديد ويفهم من ذلك ان ثمر الخرنوب هو المقصود في قرطاس ايبرس دون سواه .

وكان خشب الخرنوب المسمى عند قدماء المصريين بالسيس نوتم — كما جاء في كثير من النصوص القديمة — مستعملاً في النجارة الدقية وقد عُرف عندهم بميل لونهِ الى الحمرة وصلابته

الزيتون

الزيتون شجر يسميه علماء النبات Olea Europæa (أوليا ايروپيا) والمصريون القدماء دچادي . وقد وجدت اكاليل كثيرة منه على رؤوس الموميات ولكن لوحظ ان هذه الاكاليل لم تستعمل قبل حكم الأسرة العشرين ويزعم پليت ان شجر

الزيتون لم يزرع في مصر قبل غزو الشام وفتحها أي في أيام حكم العائلة الثامنة عشرة ولكن يكذبه وجود اسمه في هرم تتي من ملوك الأسرة السادسة وفي قرطاس هريس البردي . وكان المصريون القدماء يستعملون زيت الزيتون في الطب وللاستصباح وللغذاء

وقد ذكر استرابون ان الفيوم هي الجهة الوحيدة التي كانت تغرس أشجار الزيتون في مصر فتنتج زيتوناً وزيتاً جيداً لو اعتني بها والاَّ فيكون زيتها رديئاً . وذكر أيضاً انه لا وجود للزيتون في مكان آخر خلاف حدائق الاسكندرية فان فيها زيتوناً جيداً الاَّ انه لم يستخرج منه زيت والسبب في ذلك هو كما يقول پليني ان زيتون مصر كبير الحجم ولكنه قليل الزيت . ومن ينعم النظر في عبارة استرابون يجد انها تخالف الواقع لأن عين شمس اشتهرت من قديم الزمان بزراعة الزيتون ويستدل على ذلك من نصوص كثيرة وجدت في القراطيس البردية ونقوش الهياكل والمقابر. فضلاً ان ثيوفراست أخبر بوجود كثير من أشجار الزيتون في ضواحي طيبة

الرمان

الرمان ويسمى باللسان النباتي Punica Granatum (بونيكا جراناتوم) شجر قال عنه مولدنك *C. Moldenke* ولوريه انهُ غير مصري الأصل مستدلين على ذلك من اسمه وهو « أرهماني » . ويظن دي كاندول انهُ مستجلب من بلادالفرس

وأقدم نص ورد فيه اسم الرمان يصعد تاريخه الى حكم الأسرة الثامنة عشرة وهو الذي وقعت فيهِ الحروب الأعجمسية الكبرى بآسيا . وهذا النص وجد في مقبرة الكاتب أناً بطيبة

ويذهب البعض الى ان الرعاة هم الذين استجلبوا شجر الرمان كما استجلبوا الخيل وسواها في عهد الأسرة السابعة عشرة . وأقدم رسم لشجر الرمان وجد في مقبرة بتل العمارنة من أيام حكم امنحوتب الرابع أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وأول استعمال الرمان قرباناً للموتى كان في أيام حكم الأسرة العشرين . ويلاحظ ان الرمان الذي وجد أصغر من الموجود الآن وقد شبههُ شوينفورث برمان شبه جزيرة سيناء

وكان المصريون القدماء يستعملون قشر الرمان في الطب لقتل الديدان ويسمونه ماني ويظن أنهُ كان يستخرج من الرمان شراب يسمى باللغة القديمة المصرية شدح إِت بدليل ما ورد في

قرطاس بردي لأَنسطاسي والظاهر ان غرس الرمان انتقل من مصر الى الواحات الداخلة وكثر فيها حتى صار شرابه من أهم محصولاتها في أيام البطالسة

ولكن لا يعلم ما اذا كان هذا الشراب من الأنواع الكحولية أو من الأنواع البسيطة الحلوة

التفاح

التفاح يسمى بلسان النباتيين Pyrus malus (پايروس مالوس) وعند المصريين القدماء دَپح . وقد حفظت لنا الآثار ان رمسيس الثاني غرس أشجار التفاح في حدائقه بالوجه البحري وان رمسيس الثالث أعطى كهنة طيبة ٨٤٨ سلة تفاح . والظاهر أن شجر التفاح كان مغروساً في مصر بكثرة على عهد الأسرة التاسعة عشرة

الكمثرى

الكمثرى وتسمى باللسان النباتي Pyrus communis (پايروس كومونس) عثر عليها فلندرس بتري في الجبانة اليونانية الرومانية بهوارة . والظاهر انها استجلبت الى مصر بعد عصر الأسرات الفرعونية

القراصيا

القراصيا وتسمى عنـد النباتيين Prunus Cerasus (پرونس سيرازوس) كانت كما يقول لوريه تزرع في جهة دمشق بالشام ويستجلبها منها قدماء المصريين ولهذا السبب وجدت في مصر

الآس

الآس ويسمى عنـد النباتيين Myrtus communis (ميرتوس كومونس) شجر ذكره ثيوفراست وپليني ضمن النباتات المصرية وشاهد پكرنج وأُنجر فروعاً منـه في أيدي الراقصات المصريات المرسومة صورهن على جدران المقابر وعثر فيجاري بك بيوبسطة وفلندرس پتري بالفيوم وهوارة على فروع منهُ ليست قديمة العهد جداً وفي متحف ليدن بالمانيا فروع مأخوذة من بعض المقابر . وكان الآس يستعمل في صناعة اكاليل الزينة ويزرع في حدائق المعابد . ولا يظن ان الآس مصري الأصل ولم يعرف بعد اسمـه المصري الحقيقي . أما قول بعضهم انه أس أو آسي فغير صحيح لأن الأس والآسي المذكور في الآثار القديمة نبات مائي أما الآس فليس من النباتات المائية

الخروع

الخروع ويسمى باللسان النباتي *Ricinus communis* (ريسينس كومونس) شجر عثر كونث على حبوبه وأودعها المتحف المصري ببرلين وعثر أُنجر على مثلها وأودعها متحف ڤينا وعثر بوناستر *Bonastre* على بعضها وأودعها متحف اللوڤر

وقد وجد شوينفورث كمية منها في احدى مقابر طيبة ولكنه يشك في قدمها . وذكر الكتّاب المتقدمون ان الخروع قديم في مصر وان المصريين استخرجوا منه زيتاً يستضيئون به

وقد ذكر هيرودوتس في كتابه على مصر ان اسم حب الخروع عند المصريين القدماء قيقي ولكنهُ لم يُذكر في النصوص القديمة أو بالأقل لم يعثر عليهِ أحد من علماء الآثار

وقد وجد أُنجر رسوم بعض أشجار في جملة مقابر قديمة وذهب الى أنها أشجار خروع ولكن عارضه في ذلك لوريه بقوله ان الأشجار التي يظنها خروعاً ما هي الاّ أشجار تين مستدلاً على ذلك من شكل أثمارها

وقد عثر العالم رڤيو *Révillout* على الاسم المصري للخروع وهو دِقَم واذا كان لفظ قيقي مصرياً فيكون اسم حبوب الخروع أما الشجر نفسه فيكون اسمه دِقم . وكان قدماء وادي النيل يستعملون زيت الخروع مسهلاً ويدهنون بهِ شعورهم ليلينها وينميها

الصندل

الصندل ويسميه النباتيون Santalum album (سنتالوم ألبوم) شجر قديم عثر المسيو دي ڤرنوي *M. de Verneuil* في مومياء على قطع من خشبه مخلوطة مع نطرون مسحوق

والظاهر ان هذا الشجر أصله من آسيا الشرقية واستجلب منها بواسطة التجار

النيـلة

النيلة وتسمى بلسان النباتيين Indigofera argentea (انديجوفرا أرچنتيا) نبات لم يوجد بذاته بين النباتات التي عثر عليهـا الباحثون بل قرائن الأحوال وحدها تدل على أنهُ كان موجوداً في أيام الفراعنة ويزعم لوريه ان اسمه المصري القديم دنكون

وقد حلل بعض الكيماويين المادة الزرقاء الملونة بها بعض الأقمشة القديمة المصرية فوجدوا انها هي النيلة بذاتها ولذا لا نشك في انها كانت موجودة ومستعملة عند المصريين القدماء بغض النظر عن كونها مصرية الأصل أو مستجلبة من الهند كما يقول بعض الباحثين

وهذا النبات كان يزرع في مصر الى عهد غير بعيد ولا يزال ينبت في بعض جهات النوبة والحبشة

القرطم

القرطم ويسمى باللسان النباتي Carthamus tinctorius (كارثاموس تنكتوريَس) شجر قديم في مصر وقد وجد اكليل مصنوع من ورق الصفصاف وزهر القرطم (العصفر) على مومياء امنحتپ الأول أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة وعثر سكياپارلّي *Schiaparelli* في مقبرة بذراع أبي النجاة على جثة عليها اكليل شبيه بالأكليل الذي وجد على مومياء امنحتپ المذكور. فضلاً انه يوجد في متحف ليدن بالمانيا اكليل يحوي أزهار القرطم

وقد أثبت التحليل الكيماوي ان الأقمشة الملونة باللون الأحمر التي وجدت في المقابر القديمة المصرية مصبوغة بصبغة القرطم

والظاهر ان اسم القرطم باللغة القديمة المصرية ناسي أو ناستي وكازا

ويستدل من نص وجد في هرم الملك تتي من ملوك الأسرة السادسة على ان هذا النبات قديم جداً في مصر. وقد ذكر پليني ان المصريين القدماء كانوا يستعملون زيته بكثرة. ويستدل من رسم وجد في مقبرة سيتي الأول ان القرطم كان يقدم قرباناً

الحنّاء

الحنّاء شجرة تسمى عنـد النباتيين Lawsonia inermis (لوسونيا إينرميس) . وقد وجدت موميات عديدة محنّأة الايدي وعثر شوينفورث في بعض المقابر على قطع من خشبها ووجد فلندرس پتري في جبانة هوارة اليونانية الرومانية بعضاً من أوراقها . وأول من تكلم على مسحوق أوراق الحناء العالم النباتي پروسپر الپن *Prosper Alpin* وقد سماه « أَرشِندا » أما اسم شجر الحناء باللغة القديمة المصرية فهو بوقر

ولم تذكر الحناء في النصوص القديمة الاَّ قليلاً وذلك ضمن المواد التي يتكوّن منها البخور المعروف بالكيفي

وذكر ديوسقوريدس في مادته الطبيـة ان الحناء كانت مستعملة عند قدماء وادي النيل مع أشياء أخرى لصبغ الشعر وأيّد قوله هذا پليني . والظاهر ان شجرة الحناء مستجلبة من آسيا ولم تغرس في مصر الاَّ من عهد حكم الرمسيسيين على الاكثر

البوص الفارسي (الغاب الرومي)

البوص الفارسي أو الغاب الرومي ويسمى باللسان النبـاتي Arundo Donax (أَرو ندو دونا كس) قديم في مصر وقد وجد

في طيبة بهيكل مدينة آبو رسم من رسوم الصيد والقنص يرى فيه رمسيس الثالث سائراً لمطاردة أسد بين بوص مزروع

واسم البوص باللغة القديمة المصرية نابي وكان يصنع منه شبابات وسهام ومنافيخ وتقافيص وتعاريش وتستعمل أوراقه في صناعة الحصر . فضلاً انه كان يدخل في تركيب بعض الوصفات الطبية . وقد ورد الجزء الداخلي منه في قرطاس ايبرس البردي باسم أجاجي

أما النوع المعروف عند النباتيين باسم Arundo isiaca (أَروندو إِيسياكا)[1] فقد وجد أُنجر قشاً منه في تابوت عثروا عليه في جبانةمنفيس وهو يظن ان قدماء المصريين كانوايصنعون منه أقلاماً للكتابة

الغـــاب

الغاب يسمى باللسان النبـاتي Cyperus alopecuroides (سيبيروس ألوپيكورويدس) وقد وجد ماسپرو حصيرة في مقبرة بالجبلين أثبت الفحص المجهري أنهـا مصنوعة من سوقه . وهو يسمى باللغة القديمة المصرية جاش أو قاش

---

(١) ترجمـه بعضهم بالقصب الاسحاقي أو قصب اسحق وهي ترجمة حرفية

السمار

السمار ويسمى باللسان النباتي Juncus maritimus (چونكس ماريتيموس) قديم في مصر وقد عثر أنجو على أجزاء منه في طوبة من هرم دهشور

الورد

الورد ويسمى باللسان النباتي Rosa Sancta (روزا سانكتا) وجده فلندرس پتري في جبانة هوارة اليونانية الرومانية والظاهر أن المصريين القدماء عرفوه لأنهُ حبشي الأصل . وقد وجد اسمه في بعض النصوص الديموطيقية وهو ورتو وربما يكون الإسم العربي مشتقاً منه لأنهُ قريب جداً منه

النعناع الفلفلي

النعنعاع الفلفلي ويسمى باللسان النباتي Mentha piperita (منثا پيپريتا) نبات وجد ماسپرو لحاه ضمن اكليل في مقبرة فتحها سنة ١٨٨٤ بجهة الشيخ عبد القرنة . وقد ذكر دليل في كتابهِ النباتي أربعة أنواع من النعناع المصري ليس بينها هذا النوع ولكن ما لم يجده دليل وجده بعده ماسپرو وتوسع في شرحه شوينفورث في كتابه النباتي المسمى Ueber Pflanzenreste

وكان النعناع مستعملاً في الطب وفي تحضير الروائح العطرية واسمه المصري القديم أَجاي ولكنه كان يسمى أحياناً نكپاتا ويحتمل أن يكون من اسمائه أيضاً أميسي

١

الجلبان

الجلبان ويسمى بلسان النباتيين Lathyrus Sativus (لاثيروس ساتيفوس) ذكر لوريه أن شوينفورث عثر على حبوب منه في مقبرة بالجبلين فتحها ماسپرو . وقد وجدت كمية أخرى من حبوبه في مقبرة بذراع أبي النجاة وعثر فلندرس پتري أيضاً على بعض من حبوبه في جبانة هوارة . ويظن لوريه إن الاسم القبطي للجلبان وهو پي حوف مشتق من الإسم المصري الذي لم يعثر عليه

أما النوع المسمى عند النباتيين L. Hirsutus (لاثيروس هرسوتوس) فقد وجد شوينفورث قروناً منه في مقبرة بطيبة من أعمال العائلة العشرين وهذه المقبرة كان قد اكتشفها سكيا پارللي وانما يظن شوينفورث أن القرون التي وجدها ليست قديمة بل تركها هناك العمال الذين كانوا يشتغلون في الحفر

قصب السكر

قصب السكر ويسمى بلسان النباتيين Saccharum ægyptiacum (سكاروم ايجيپتيا كوم) ذكر شوينفورث ان جميع الأقلام التي وجدت في التوابيت مصنوعة منه . وعثر فلندرس پتري على بقايا منه في الجبانة اليونانية الرومانية بهوارة وقد ذكر لوريه ان اسم قصب السكر باللغة القديمة المصرية جانوش وهذا النبات (أي الجانوش) يوصف عند قدماء وادي النيل بأنهُ نافع للغذاء

البابونج (الأقحوان)

البابونج ويسمى باللسان النباتى Matricaria Chomomilla (ماتريكاريا كاموميلا) ذكر في قرطاس ليدن البردي باسم طحوعب أي أنه قديم في مصر وقد أطلق شوينفورث كلمة بابونج على النوع المسمى عند النباتيين Achillea Fragrantissima (أشيليا فراجرانتيسيما)

النرجس

النرجس ويسمى بلسان النباتيين Narcissus Tazzetta (نارسيسوس تازتاً) نبات يقول بعض النباتيين أنه ليس مصري الأصل ولكنه مع ذلك قديم فيها

ولقد عثر فلندرس پتري في جبانة هوارة على هذا النبات وانما لم يوجد له اسم في النصوص القديمة

بصل العنصل (بصل الفار)

بصل العنصل أو بصل الفار أو الأسكيل ويسمى عند علماء النبات Scilla maritima (سيلاّ ماريتيما) نبات ورد في فهرس مشتملات متحف فلورنسا أنه يوجد على صدر مومياء امرأة بصليات نوعه المعروف عند علماء النبات باسم S. Pusilla (سيلا پوسلا)

أما النوع المعروف عند علماء النبات باسم Crinum (كرينوم) فقد ذكر الدكتور ڤولكنس أنه وجد على فم وعيني مومياء الأميرة نسي خونسو كمية منه وقد تكلم شوينفورث على هذا الموضوع ولكنهُ أظهر تردداً في نسبة ما وجد الى النوع المعروف عند النباتيين باسم C. Abyssinicum (كرينوم أبيسينيكوم) أو الى النوع الآخر المعروف عندهم باسم C. Tinneanum (كرينوم تينيانوم)

القمح

القمح ويسمى باللسان النباتي Triticum Vulgare (تريتيكوم ڤلجاري) وباللغة القديمة المصرية « سو » و « قمح »

نبات قديم في مصر وقد وجد في كثير من المقابر وهو معروض للفرجة الآن في أغلب متاحف العالم

وقد جربت زراعته بعد أن مضت عليه تلك الألوف من السنين فلم تنجح لأنهُ وجد بالفحص أن مادة الإنبات فيهِ قد ماتت بمرور هذه المدة الطويلة عليها

وقد استلفت نظر بعض الكيماويين الذين أجروا التجارب العديدة على القمح أنه بعد وضعه في الكحول المغلي انفصلت منه مادة راتنجية رسبها الماء . فاستدلوا من ذلك على أن قدماء وادي النيل وجدوا أن أحسن طريقة لحفظه من التلف على مر السنين هي دهنه بورنيش خاص قبل وضعه في القبور وهذا الورنيش أبقى له جميع خواصه الكيماوية ولم تتأثر فيه بالحقيقة غير مادة الإنبات

وقد عثر شوينفورث على نوع من القمح أصغر حجماً من القمح المعروف وهو قريب في شكله من القمح الذي يستغل من أراضي مديرية البحيرة في هذه الأيام . كما أن بعض النباتيين وجدوا نوعاً آخر اكبر حجماً من القمح العادي

ويُرى القمح مرسوماً في كثير من الآثار وخصوصاً ضمن قرابين الموتى وكان لهُ فوائد طبية عظيمة

وكان المعروف منه عند قدماء وادي النيل نوعان يسمون أحدهما قمحاً أبيض والآخر قمحاً أحمر

أما النوع المعروف عند النباتيين باسم T. Spelta (تريتيكوم سپلتا) فقديم أيضاً في مصر وتكلم عليهِ كثير من الكتّاب المتقدمين وقد عثر أنجر على حبوب منه في بعض المقابر

أما اسمه المصري القديم فهو بوتي غير أن هذا اللفظ لا يعرف بالتحقيق ما اذا كان المراد بهِ هذا النوع أو الذرة الرفيعة

والظاهر أيضاً أن النوع المعروف باسم T. dicoccum (تريتيكوم ديكوكم) كان منزرعاً في مصر على عهد الفراعنة لأن شوينفورث وجد بين قرابين الموتى في مقبرة بالجبلين بضع سنابل وحبوب منه

ووجد أنجر في طوبة بالكاب بقايا من النوع المعروف باسم T. turgidum (تريتيكوم ترچيدوم) وشاهد دي كاندول حبوباً منه في بعض التوابيت

الشعير

الشعير ويسمى عند النباتيين Hordeum Vulgare (هورديوم ڤلجاري) وعند المصريين القدماء أتي نبات كان

معروفاً عنـد قدماء وادي النيـل ووجدت حبوبه في كثير من المقابر

وقد عثر الأثريون في الكاب على أجزاء من نبات الشعير وعرض شوينفورث في المتحف المصري خبزاً من الشعير عثر عليه في مقبرة تأسست في عصر بناء الاهرام

وقد وجد فلندرس پتري في جبانة كاهون المؤسسة في أيام حكم الأسرة الثانية عشرة حبوباً من الشعير أصغر حجماً مما ينبت في أيامنا هذه بأرض مصر

وكان المصريون يستخرجون من الشعير شراباً مخمراً يسمونهُ حاقي والطريقة لا تختلف عن الطريقة المستعملة في أيامنا هذه لاستخراج الفقاع . وقد أيّد شوينفورث ذلك بعثوره في مقبرة بطيبة على كمية من الشعير لها جذور يبلغ طولها بضع سنتيمترات وهي مربوطة ببعضها وموضوعة على صدر المومياء . على ان راوي هذه العبارة — وهو صاحب كتاب النباتات الفرعونية — لا يريد أن يسلم بصحة رأي شوينفورث ويظن أن هـذه الحبوب وضعت بالصورة المبينة آنفاً لغرض جنائزي بحت

هذا فضلاً عن وجود هرم بمتحف فلورنسا مفرغ من داخله وموجود فيه تمثال لأوزيريس وبعض حبوب من الشعير النابت

والظاهر ان إنبات الشعير كان يلعب دوراً عظيماً في أعياد شهر كيهك الجنائزية التي كانت تقام تذكاراً لميل أوزيريس الجنسي . وذكر پولاكس *Pollux* ان المصريين كانوا يصنعون مزامير صغيرة من سوق هذا النبات

وكان المصريون يعرفون نوعين من الشعير وهما الشعير الأحمر والشعير الأبيض

وقد وجدت قطع من النوع المعروف عند علماء النبات باسم H. Hexastichum (هورديوم هيكساستيكوم) بين نباتات أخرى مخلوطة ببعضها في دهشور وتل المسخوطة فضلاً ان بعض حبوب مشوية منه وقشاً من سوقهِ وجدت في مقبرة بالجبلين

وقد وجد في بعض النصوص الهيروغليفيــة نوع من الشعير اسمه المصري القديم سرتي . وهــذا النوع كان ينبت خالياً من القشر كالقمح تماماً . ومن اعتقادات المصريين القدماء ان الخبز في دار الآخرة يصنع منه . فضلاً انهم كانوا يستخرجون منه فقاعاً

الذرة الرفيعة

الذرة الرفيعة أو الدخن وتسمى باللسان النباتي Sorghum Vulgare (صُرغُم ڤلجاري) نبات مرسوم في بعض الآثار المصرية القديمة

ووجدت حبوبه في بعض المقابر وهي معروضة الآن للفرجة في بعض دور التحف لا سيما متحف فلورنسا

وقد عثر بكرنج *Pickering* في تابوت مفتوح بسقارة على بعض جذور هذا النبات مخلوطة ببعض سوق البردي . غير ان شوينفورث يشك في وجوده في مصر على عهد المصريين القدماء

وقد وجد أ . دي كاندول *A. de Candolle* في بعض الأدراج الفرعونية بقايا وأشكالاً تشير الى النوع المعروف عند علماء النبات باسم S. Saccharatum (صرغم سكاراتوم) وهو المذكور في التوراة باسم الدخان[1] والذي يعرف عند العرب باسم الدخن

وكان المصريون القدماء يصنعون من الذرة الرفيعة خبزاً وقد أشار اليه هيرودوتس في الكلام على عادات المصريين (انظر صحيفة ١٦ من هذا الكتاب) وكان اسمها عندهم بوتي

والظاهر ان المصريين القدماء لم يعرفوا النوع المسمى بالذرة الشامية وهو المعروف عند النباتيين باسم Zea Mays (زي ميز)

---

(١) ورد في سفر حزقيال بالاصحاح الرابع ما نصه :

« وخذ أنت لنفسك قمحاً وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً (دخاناً) وكرسنة . . . الخ »

الحمص (الملانة)

الحمص ويسمى بلسان النبـاتيين Cicer arietinum (سيسر أريتينوم) يظنه يكرنج قديماً في مصر وقد أكد صحة ظنه فلندس بتري بعثوره صدفة في المقبرة اليونانية الرومانية بهوارة على كمية منه

أما اسمه المصري القديم فيزعم لوريه انه أرشا

الفول

الفول ويسميه النباتيون Vicia Faba (ڤيسيا فابا) نبات قديم في مصر وقد وجد شوينفورث حبوباً منه في مقبرة من أعمال الأسرة الثانية عشرة فضلاً ان فلندرس بتري عثر على كمية كبيرة منه في جبانتي هوارة وكاهون من عهد الأسرة الثانية عشرة أيضاً

ويقول أنجر انه يوجد بمتحف ڤينا بعض حبوب منه وانما لا يعرف بالتحقيق تاريخها . ويظهر من الرسوم التي وجدت في مقابر العائلات الأولى انه كان يقدم ضمن قرابين الموتى وقد أهدى رمسيس الثالث كمية كبيرة منه الى هياكل طيبة وهذا ينافض قول هيرودوتس ان المصريين كانوا لا يأكلون الفول

اللهمَّ الاَّ اذا كان هيرودوتس يعني بالفول ثمر اللوطس الذي كان اكله محرماً فعلاً

أما اسم الفول باللغة القديمة المصرية فهو پورا

وقد عثر شوينفورث على بعض حبوب وقرون الفول الرومي المسمى باللسان النباتي Vicia sativa (ڤيسيا ساتيڤا) في كثير من المقابر القديمة المصرية ووجده أيضاً أنجر في طوبة من هرم دهشور

البسـلة

البسلة وتسمى عند النباتيين Pisum sativum (پيزم ساتيڤوم) نبات وجد بكثرة في جبانتي هوارة وكاهون ويظهر من ذلك ان المصريين كانوا يزرعون البسلة في أيام حكم الأسرة الثانية عشرة

وقد وجد العالم أنجر بعض أجزاء من حبوب النوع المعروف عند النباتيين باسم Pisum arvense (پيزم أرڤنس) في طوبة من هرم دهشور وعثر فلندرس پتري على بقايا من هذا النوع في جبانة هوارة اليونانية الرومانية وجبانة كاهون المؤسسة في أيام الأسرة الثانية عشرة

وقد رأى نيوبري بين بعض حبوب من الشعير وجدت في مقبرة بجبانة كاهون ست حبات من البسلة تختلف في شكلها

عن النوعين المتقدمين ويظن انها من النوع الثالث الذي ذكره شوينفورث في معجم نباتاته ونعني بهِ البيزم إلاتيوس P. elatius

العـــدس

العدس ويسمى عند النباتيين Ervum lens (إرڤم لنز) نبات تكلم عليه كثير من الكتاب المتقدمين وقال عنه هيرودوتس انه كان غذاء العمال الذين اشتغلوا في بناء الاهرام وقد وجد في احدى مقابر طيبة من أيام الأسرة الثانية عشرة

أما اسم العدس عند قدماء المصريين فهو أرشانا وهذا الاسم لم يُرَ في الآثار الاَّ من عهد الأسرة التاسعة عشرة وربما كان له اسم آخر يعرف به ولكننا لم نعثر عليه

وقد ذكر پليني أنه يوجد نوعان منه في مصر

البصـــل

البصل ويسمى بلسان النباتيين Allium cepa (أليوم سپا) ذكره كثير من الكتاب المتقدمين مثل هيرودوتس ومن جاء بعده . وقد ذكر هيرودوتس ان العمال الذين اشتغلوا ببناء الاهرام استهلكوا منه مقداراً كبيرًا جداً

وقد شوهدت في المقابر القديمة رسوم حزم منه ووجد بذاته

في يد مومياء وعثر فلندرس پتري على مقدار منـه في جبانة هوارة الشهيرة

والظاهر ان اسمه القديم بصل غير أن بعض العلماء يظنون أنه بالنسبة لكون الاشارة التي يرمز بهـا للبصل تلفظ هدج فيكون اسمه هدج

وقد وجد ماسپرو في مقبرة بطيبة كلمة بادچار مكتوبة بجانب رجل يحمل حزمة من البصل وربما كانت هي الاسم المصري القديم له

وقد ذكر چوڤينال انه كان محظوراً على المصريين أكل البصل وعارضه في ذلك پلورتارك المؤرخ بقوله ان أكله كان محظوراً على الكهنة دون غيرهم

وقيل ان الاسرائيليين الذين كانوا متخذين مصر وطناً لهم كانوا يأكلون كميات كبيرة منه وانهم أسفوا كثيرًا من أجله عند ارتحالهم منها في أيام سيدنا موسى عليه السلام

وقد شوهدت صور كهنة يمسكون في أيديهم البصل كما شوهدت رسوم بعض المذابح مغطاة بهِ

ولا يعلم على كل حال ما اذا كان المصريون القدماء استعملوا البصل كطعام منبه للشهية أم لا

وعلى ذكر استعماله منبهاً للشهية نقول ان الأغارقة اهتموا بهِ كثيراً حتى لقد أوصى سقراط بأكله في وليمة اكسنوفون الكبرى وقد حدث أنه لما اجتمع الضيوف على المائدة لتناول الغذاء وعلموا بوصية سقراط أخذ كل منهم يبدي سبباً فقال نيسراتس ان طعمه مع النبيذ لذيذ وقال كالياس انهُ يوجِد عند المرء نشاطاً وحماساً وذهب شارميدس الى أنهُ ينفع لخدع المرأة المتصفة بالغيرة لأنها اذا شمت في زوجها عند عودته الى داره رائحة البصل تأكدت أنهُ لم يجتمع بامرأة سواها في أثناء غيابه عنها لأن رائحة البصل كريهة وتنفر منها النساء ! ! !

الثوم

الثوم ويسمى باللسان النباتي Allium sativum (أليوم ساتيڤوم) لم يوجد لهُ رسم في الآثار ولا اسم في النصوص القديمة وهيرودوتس هو المؤرخ الوحيد الذي تكلم عليهِ وقال انهُ كان معروفاً ومستعملاً عند المصريين القدماء

ويزعم البعض ان اسمهُ المصري القديم حتتوم

الكراث

الكراث ويسمى عند النباتيين Allium Porrum (أليوم پوروم) ذكر اسمهُ في الأسفار المقدسة وقال عنهُ پليني انهُ نبات مصري

ولكننا مع ذلك لم نجد له ذكراً في الآثار

وقد وجده شوينفورث بذاتهِ في مقبرتين قديمتين وانما يظن البعض ان ما وجد منهُ نوع هو في الحقيقـة وسط بين النوع المعروف عند النباتيين بالأليوم پوروم والنوع الآخر المعروف عندهم باسم A. Ampeloprasum (أليوم أمپلوپراسوم)

على انـ الفحص المجهري الذي أجراه أخيرًا الدكتور ڤولكنس *Dr. Volkens* أثبت مسئلة جديرة بالاعتبار وهي ان الكراث الذي وجد في المقبرتين آنفتي الذكر ليس من هذين النوعين ولا من نوع وسط بينهما كما يظن البعض بل هو نوع آخر خلافهما وخلاف جميع الأنواع الموجودة الآن وانما فيهِ خواص مشتركة بينها كلها !!

الكزبرة

الكزبرة وتسمى باللسان النباتي Coriandrum sativum (كورياندرُم ساتيڤوم) ذكرها دليل وفورسكال وشوينفورث ضمن النباتات الحديثة المصرية ولكن ديوسقوريدس وپليني خالفاهما في ذلك وقالا انها قديمة

على أن من ينعم النظر في مشتملات المتحف المصري بليدز

يرى كيسين من حبوب الكزبرة مأخوذين من المقابر المصرية فضلاً ان شوينفورث ذاته وجد آثارها في مقبرة من أعمال الأسرة الثانية بجهة الدير البحري بطيبة وفلندرس بتري عثر على بعض أوراقها في الجبانة اليونانية الرومانية بهوارة

أما اسمها المصري القديم فهو أونشي أو أونشاو وقد ذكر كثيراً في القراطيس البردية الطبية . وجاء في بعض النصوص ان قدماء وادي النيل أدخلوا الكزبرة في صناعة النبيذ لتضاعف مفعوله المخدّر . والظاهر انه كان عندهم نوع آخر منها يستجلبونه من آسيا ولذا سموه الكزبرة الأسيوية تمييزاً لها من الكزبرة التي كانوا يزرعونها في وادي النيل

الكمون

الكمون ويسميه النباتيون Cuminm Cyminum (كومينوم سيمينوم) وجدت بعض حبوب منه في احدى المقابر القديمة وهي الآن محفوظة في متحف فلورنسا بايطاليا

وكان المصريون يسمونه قمنيني وتاپن والاسم الأخير وجد في كثير من الأدراج البردية الطبية لاسيما قرطاس ايبرس ويستدل من ذلك على أنه كان مستعملاً عندهم في الطب

وقد تكلم عليهِ ديوسقوريدس ونسب اليه فائدة طبية مهمة وهي ازالة المغص

البرسيم

البرسيم ويسمى بلسان علماء النبات Trifolium alexandrinum (تريفوليوم الكساندرينوم) قديم في مصر بدليل ان النوع الجاف منه (الدريس) كان يسمى عند قدماء وادي النيل سبن تتر

وقد عثر فلندرس پتري في جبانتي كاهون وهوارة على بعض منه

الشبت

الشبت ويسمى باللسان النباتي Anethum graveolens (أنيثوم جراڤيولنس) يُظن أنهُ قديم في مصر لأن بعض علماء الآثار يطلقون عليهِ اسم أميسي الذي وجد في بعض القراطيس البردية الطبية كقرطاس ايبرس (وهذا الاسم — أي أميسي — هو الذي قلنا انهُ من أسماء النعناع الفلفلي)

ولقد جاءَ في قرطاس ايبرس أنه يشفي وجع الرأس وورد في قرطاس برلين الطبي أن بزوره تنفع لمعالجة بعض أمراض أوعية الساق

الشمار (البسباس)

الشمار أو الرازيانج أو البسباس ويسمى باللسان النباتي حسبما ورد في كتاب النباتات الفرعونية Anethum Fœniculum (أَنيثوم فونيكولوم) وفي معجم النباتات المصرية لشوينفورث Foeniculum capillaceum (فونيكولوم كاپيلاّسيوم) قديم في مصر وذكر باسم شماري هاؤت في قرطاس من قراطيس ليدن البردية ومنه اشتق على ما يظهر لنا الاسم العربي المعروف بهِ الآن أي شمار

ويحتمل أيضاً أن يكون من أسمائه القديمة المصرية شمارن التي وردت في قرطاس هاريس البردي وبسبس التي وردت في قرطاس ايبرس الطبي وبعض نصوص أُخرى مع العلم بأن كلمة بسباس العربية اسم من أسماء الشمار

الكرفس

الكرفس ويسمى بلسان النباتيين Apium Graveolens (أپيوم جراڤيولنس) نبات قديم في مصر . وقد وُجد في عنق مومياء ِكنت التي عثر عليها الباحثون في جهة الشيخ عبد القرنة بطيبة اكليل من البشنين الأزرق والكرفس والظاهر أن الكرفس

كان عند المصريين القدماء من ضمن الأشياء التي تقدّم قرباناً للموتى حتى لقد عدّهُ شوينفورث من النباتات التي يعتبرها قدماء وادي النيل جنائزية بحتة

وتوجد في متحف فلورنسا بعض حبوب هذا النبات معروضة للفرجة وقد عثروا عليها في احدى المقابر القديمة المصرية ولكن بالأسف لم يعرف بعد اسمه المصري القديم

الرجلة

الرجلة وتسمى عند علماء النبات Portulaca oleracea (پورتولاكا أوليراسيا) نبات يعدّه فورسكال ودليل وشوينفورث من النباتات الحديثة المصرية

ولما كان اسم الرجلة في اللغة القبطية مهموهي ويوجد في اللغة القديمة المصرية نبات اسمه محمخاي فنحن نرجح ان الرجلة نبات مصري قديم لا حديث كما يزعم فورسكال ودليل وشوينفورث.

وقد أطلق العالم أبوليه *Apulée* في كتابه المسمى De herbarum virtutibus لفظ مشموتم على الرجلة وهو يقول انه اسمها المصري القديم

الشيبـــة

الشيبة وتسمى باللسان النباتي Parmelia furfuracea (پرميليا فورفوراسيا) نبات قديم في مصر وقد وجدت كمية كبيرة منهُ في كثير من توابيت الأسرة الثانية والعشرين . ويحتمل أن قدماء وادي النيل استعملوا الشيبة لتساعد العجين على الاختمار بسرعة ولم يوجد اسم الشيبة في النصوص القديمة المصرية

الكرنب

الكرنب ويسمى بلسان النباتين Brassica oleracea (براسّيكا أوليراسيا) نبات وجده فلندرس پتري في الجبانة اليونانية الرومانية بهوارة والظاهر أنه قديم في مصر ولكن لم يعرف اسمه المصري القديم بعد . وذكر في بعض الكتب أن اسمه القبطي پي ششيو

السيكران

السيكران ويسمى باللسان النباتي Erigeron ægyptiacus (إريجرون ايجيپتيا كوس) كان يزرع في أيام الفراعنة وذكر ديوسقوريدس أن اسمه المصري القديم كِتي . وقد عثر فلندرس پتري على هذا النبات في احدى مقابر الفيوم . وتكلم هوراپولون

عليهِ فقال : « ان المصريين القدماء كانوا اذا أرادوا أن يصفوا رجلاً معتاداً على اهلاك الضأن والمعز يرسمون قطيعاً من هذه المواشي تأكل السيكران والسبب في ذلك هو ان تلك الحيوانات اذا اكلت من النبات المذكور ماتت في الحال من العطش »

الخيــار

الخيار واسمه النباتي Cucumis sativus (كوكوميس ساتيفوس) نبات عثر عليه بتري وهو يجري عمليــة الحفر في جبانتي كاهون وهوارة بالفيوم. وكان اسمه المصري شوپي ووُجد مرسوماً على جدران بعض المقابر بين قرابين الموتى

رجل اليمامة

رجل اليمامة وتسمى بلسان النباتيين Delphinium Orientale (دلفينيوم أورينتالي) نبات وُجد زهره حافظاً جميع خواصه الطبيعية في تابوت أعحمس الأول ضمن اكليل كان موضوعاً فوق الجثة

البردقوش (المرزنجوش)

البردقوش ويسميهِ النباتيون Origanum Majorana (أوريجانوم ماچورانا) نبات يظن ديوسقوريدس أنه كان ينبت

في مصر وقد عثر فلندرس بتري على بعض جذوره في جبانة هوارة اليونانية الرومانية

الزعتر

الزعتر ويسمى عند النباتيين Thymus (ثيموس) نبات يُظن أنهُ قديم في مصر ويزعم ماسپرو أن اسمه المصري القديم دچاتا

السلق

السلق ويسمى عند النباتيين Beta vulgaris (بتا ڤولجاريس) نبات مصري قديم كان اسمه عند قدماء وادي النيل هِتتْ. وقد تُرجم البتا ڤولجاريس في معجم النباتات لشوينفورث بالبنجر أيضاً وانما نظن أن قصد لوريه بهِ السلق لا البنجر لا سيما وأنهُ ذكر كلمة سلق في شرحه على البتا فولجاريس

القثاء

القثاء وتسمى بلسان النباتيين Cucumis chate (كوكوميس شاتي) نبات كان يسمى عند المصريين القدماء قادي وقد جاء ضمن نصوص هرم تتي ان القثاء تخضر تحت أقدام سب. وذكر آنجر أن القثاء رسمت في بعض الآثار القديمة

البطيخ

البطيخ واسمه النباتي Citrullus vulgaris (سترولاّس ڤولجاريس) قديم في مصر واسمه المصري بتّوكا وقد وجد ورقه في تابوت الكاهن نبسني بجهة الدير البحري ثم عثروا على لبه في مقبرة قديمة وفي متحف برلين الآن كمية صغيرة من اللب الذي وُجد

الخس

الخس ويسمى باللسان النباتي Lactuca sativa (لكتوكاساتيڤا) نبات قديم في مصر وقد وجد لوريه في بعض المقابر رسوم أوراق ملوّنة باللون الأخضر الضارب الى الزرقة فظن أنها أوراق الخس وقد استصوب شوينفورث هذا الرأي ووافق عليه

وكان اسم الخس باللغة القديمة المصرية أبو وأفا وكلاهما ورد في القراطيس البردية الطبية وضمن المواد الغذائية

الترمس

الترمس ويسمى باللسان النباتي Lupinus Termis (لوپينوس ترمس) نبات قديم في مصر وقد وجدت قشوره في احدى المقابر القديمة

يدخل مصر الا في أيام الفتح اليوناني كما يقول لوريه وان صح قول بعضهم ان اسمه المصري نز أو نزا فيكون من النباتات القديمة المصرية

الخوخ

الخوخ ويسميه النباتيون Amygdalus Persica (أميجدالوس پرسيكا) وجده الباحثون في جبانة هوارة مع اللوز والقراصيا. على أن ثيوفراست الذي كان من أعلم الناس بأشجار الفاكهة المصرية لم يتكلم عليهِ ولم يشر اليهِ بكلمة واحدة حتى في القسم الخاص ببلاد اليونان وآسيا من كتابه المسمى Histoire des plantes (تاريخ النباتات)

التين

التين ويسميه النباتيون Ficus carica (فيكوس كاريكا) نبات وجد كونث Kunth وشوينفورث ثمره في المقابر المصرية وكان اسمه المصري «داب» أما اسم شجره فهو «نوهي نت داب» أو «كونتا»

وفي مقابر بني حسن صورة تمثل جني التين . والناظر في تلك الصورة يجد قروداً تتسلق الشجر لتجني التين وتلقيه فيتناوله الرجال الجالسون تحت الشجر ويضعونهُ في السلال

وكان التين مستعملاً في الطب فضلاً أنهم كانوا يصنعون منهُ شراباً خاصاً في أيام حكم الرمسيسيين

القرفة

القرفة تسمى باللسان النباتي Laurus Cassia (لوروس كاسيا) نبات استعمل المصريون القدماء خشبه في تحضير الروائح العطرية لا سيما في تركيب البخور المقدَّس المعروف بالكيفي . وكان اسمها المصري قات

حصا البان (اكليل الجبل)

حصا البان ويسميه النباتيون Rosmarinus officinalis (روزمارينوس أوفّيسيناليس) نبات أول من عثر عليهِ في مصر بروسبر البين وذلك في القرن السادس عشر بعد الميلاد . والذي يجعل لكلامه عليهِ أهمية أنهُ كان حجة في علمَي الطب والنبات ويُظن أن اسمه المصري القديم نكپاتا

الليمون

الليمون يسميه علماء النبات Citrus Limonum (سيتروس ليمونم) ويقول كونث انهُ فحص مجموعة نباتات بسألا كا فوجد نارنجة ولكن لما كان المعروف عند العلماء هو ان البرتقال وفصيلته

حديث الزرع في الجهات الواقعة على سواحل البحر الأبيض فقد صُرّح فيما بعد للعالم برون *Braun* بكسرها وفحصها بطريقة أدق فوجد أنها ليست نارنجة كما زعم كونث

وفي متحف اللوفر واحدة أخرى ذكر في فهرس مشتملات ذلك المتحف وهو الذي رتّبه شامپوليون أنها من النوع المعروف عند النباتيين باسم Citrus medica (سيتروس مِديكا) والذي أبدى هذا الرأي هو الكيماوي بوناستر ثم عززه النباتي ديكيسن *Decaisne* وانما لسوء الحظ لا يعرف بالتحقيق ما اذا كانت من آثار عصر الطبقات القديمة أو من العصر اليوناني الروماني وانما على كل حال يجب أن لا يغيب عن ذهن القارئ هنا أن الذي كان معروفاً عند اليونانيين والرومان الأترج لا الليمون ولذا يرجح أن تكون الثمرة التي نحن بصددها أترجة لا ليمونة . والظاهر أن الأترج كان معروفاً عند الاسرائيليين في أيام سيدنا موسى عليهِ السلام باسم هادار ولذا يحتمل أن تكون شجرته استجلبت الى مصر من الشام في أيام الأسرة الثامنة عشرة

ويا حبذا لو وُجد الآن نباتي حجّة يفحص لنا الثمرة الموجودة في متحف اللوفر ويبدي رأيه فيها حتى يعوّل على كلامه في المستقبل

لسان الحمل

لسان الحمل ويسميهِ علمـاء النبات Alisma Plantago (أَلِسما پلانتاجو) قال لوريه انه يوجـد بمتحف اللوڤر أثر ذُكر فيه نبات اسمه ريي ينبت في الماء ولزهره منظر بديع ويزعم أن المقصود به هو لسان الحمل الذي نحن بصدده والذي تكلم عليهِ بعض المؤرخين المتقدمين

وقد أنبأ ماسپرو بأن النساء المصريات كنَّ يجدلنَ من زهره وزهر اللوطس عقوداً يضعنها حول أعناقهنَّ للزينة

الفجـل

الفجل واسمه النبـاتي Raphanus sativus (رافانوس ساتيڤوس) نبات وضعه أنجر ضمن النباتات القديمة المصرية اعتماداً على تعيين هيرودوتس الكمية التي اكلها منه العمال الذين شيدوا الاهرام وعلى وجود رسمه فى بعض الآثار فضلاً عن عثورهم في جبانة كاهون على فجلتين . والظاهر أن اسمه المصري « نو ن » ومنه اشتق الاسم القبطي وهو « پي نوني »

زمر السلطان (أقسيان)

زمر السلطان ويسمى بلسان النباتيين Convolvulus scoparius (كونڤولڤولس سكوپاريوس) نبات وجد الباحثون اسمه

المصري وهو « دچابي » أو « دچلمـا » في أغلب التراكيب العطرية المصرية لا سيما في بخور الكيفي . وفي مصر الآن عشرة أنواع منه

البـلاسم

البلاسم ويسميها النباتيون Burséracées (بورسيراسيه) منهـا النوع المعروف باسم Balsamodendron Myrrha (بلسامودندرون ميرها) أي المر وقد وجـد پتري قطعاً منهُ في جبانة هوارة اليونانية الرومانية . والنوع المسمى B. africanum (بلسامودندرون أفريكانوم) الذي كان يعرفهُ المصريون القدماء على ما نظن لأن الاسرائيليين كانوا يعرفونهُ ويسمونهُ بدولا ويحتمل أن تكون ترجمة بدولا هذه باللغة القديمة المصرية «أهِمْ» التي وردت في كثير من النصوص القديمة . والنوع المعروف باسم B. gileadense (بلسامودندرون چيليادنس) وقد وجد صمغه في بعض المقابر

وقد عثر بسأًلا كا على احدى ثمار هذه الفصيلة في مقبرة مصرية قديمـة . وكان المصريون يستجلبون المر من سواحل البحر الأحمر

البيلسان

البيلسان ويسميه النباتيون Momordica Balsamina[١] (بلسامينا مموردیکا) نبات كان يغرس في عين شمس الى زمن غير بعيد وراه عبد اللطيف البغدادي المؤرخ بعينيه . وقد اختفى أثره من مصر في أوائل القرن السابع عشر

وكان دهن البيلسان يجنى ويقدم دائماً الى الخزينة الملوكية لنفاسته وجزيل فوائده

الزعفران

الزعفران ويسميه النباتيون Crocus sativus (كروكوس ساتيڤوس) — كما جاء في معجم النباتات المصرية لشوينفورث — نبات قديم في مصر وكان يسمى باللغة المصرية ماتي وهو داخل في تركيب كثير من الوصفات الطبية وذكر اسمه مراراً عديدة في قرطاس إيبرس الطبي

---

(١) قال بكرنج ان النبات المسمى بهذا الاسم مرسوم على الآثار وأنهُ يلتف على التعاريش وله أوراق مفصصة ولكن عارضهُ شوينفورث بقوله ان هذا الوصف ينطبق تماماً على النوع المعروف باسم Ipomœa cahirica (إيپومويا كاهيريكا) وأنهُ لا يزال يرى في حدائق القطر

التوت

التوت ويسميه النباتيون Morus nigra (موراس نيجرا) نبات وجد پتري بقاياه في جبانة هوارة . ويزعم بروكش ان اسمه المصري قَدَتْ ويقول شوينفورث ان النوع الأبيض منه وطنهُ مصر أما النوع الاسود فكان نادراً فيها

ويُظن أن التوت الأرضي المسمى بالشليك قديم في مصر أيضاً واسمه عند قدماء وادي النيل بَجْسو

الرشاد

الرشاد ويسمى باللسان النباتي Lepidium sativum (لپيديوم ساتيڤوم) نبات مصري قديم ويقول ميجلياريني ان في متحف فلورنسا كمية من حبوبه معروضة للفرجة

الهليون

الهليون ويسمى بلسان النباتيين Asparagus officinalis (أسپاراجوس أُوفيسيناليس) نبات يزعم أنجر ووُوْنج ولوريه أنهم رأوه مرسوماً في كثير من الآثار المصرية وهو يرى ضمن قرابين الموتى في مقابر الأسرات المنفية . ولكن لم يُعرف بعد اسمه المصري

اليـاسمين

اليـاسمين ويسميه النباتيون Jasminum Sambac (چاسمينوم سَمبك) نبات وجد اكاليل منـهُ في دفينة المومياات الملوكية التي عثر عليها ماسپرو في الدير البحري سنة ١٨٩١ . وقد رأى نيوبري بقايا من هذا النبات ضمن النباتات التي عثر عليها فلندرس پتري في هوارة والظاهر أن الاسم المصري قريب أو مشتق من الاسم القبطي وهو « أَسمي »

الخطمى

الخطمى ويسميها النباتيون Alcea ficifolia (ألسيافيسيفوليا) نبات وُجد زهره في الأكاليل التي كانت موضوعة على جثتي أعحمس الأوّل وأمنوفيس الأوّل ويشاهـد أيضاً في بعض الحدائق المصرية القديمة . ويزعم شوينفورث أنهُ استجلب من آسيا وزرع في مصر على عهد الفراعنة ثم أخذ في التلاشي منها ويُظن أن اسمه المصري « أماخْري » أو « أماخْريت »

نباتات أخرى يقول النباتيون انها قديمة في مصر

الاسم العربي	الاسم المصري	الاسم العربي	الاسم المصري
حلبة	عر	حبة سوداء	شنفت
سعد الحمار	جابوت	بندق	؟
جوز الصنوبر	عب ؟	برنجاسف	صعمو
قرع	دب	بان	قبو
حماما	حمامو	ملوخية	منّوح
صبّار	قاصا ؟	ميعة	منق
سرو	مرُو	شقائق النعمان	؟
أرزة	؟	بطم	نهاتوسنتر
ينسون	ينكون	فلفل اسود	بب
يبروح	منترا كورو	سماق	تمتم
بَكاء	بَكاء	حب الفقد	شنتنا
اذخر فينيقي	نبات نت صاهي	أجاص برّي	أدب
نردين	دحررت	ريحان	سُت
افسنتين	شن ن تپ أب	حب العزيز	زلمو
خبّيز	خبّازى	كمأة	كموتي
سعد	أرو	عود القنا	كنّا
نارجيل	؟	كافور	كوبسًّا
حبهال	هال	بهار أربيان	تاهوريت نب
كراوية	؟	قسطران	كسترعن
باذنجان	أنب	زنزلخت	نزحزحت
كاماريوس الماء	أوريت	جوز	؟

الفصل السادس

زراعة البساتين

ان كثرة المياه في مصر وتعدد أصناف الخضروات فيها جعل الحد الفاصل بين زراعة المساحات الكبيرة والحدائق ضعيفاً يكاد لا يذكر. وانما مع ذلك ترك لنا المصريون في آثارهم ما يمكن أن نتصوّر منهُ الطرق التي اتبعوها في زرعها وغرسها بأشجار الفاكهة والنباتات ذات الألوان الجميلة والروائح الزكية. ومن ضمن تلك المناظر رسم قوم يحملون على اكتافهم أعواداً طويلة في أطرافها قواديس معلقة بحبال وفي الأطراف الأخرى قطع من الأحجار وآخرين يحملون بأيديهم جرّات ماء ليرووا بها الأشجار المغروسة في البساتين

وكانوا يسوّرون الحدائق بأسوار غير عالية ويغرسونها بما حسن شكله أو كان له رائحة زكية من الأزهار أو كان لذيذ الطعم من أشجار الفاكهة لا سيما الكروم التي يقيمونها على التعاريش وأشجار النخيل والدوم والنبق والرمان والتين والجميز والبردي والبشنين بأنواعه والورد ورجل اليمامة. فضلاً أنهم كانوا يقسمونها

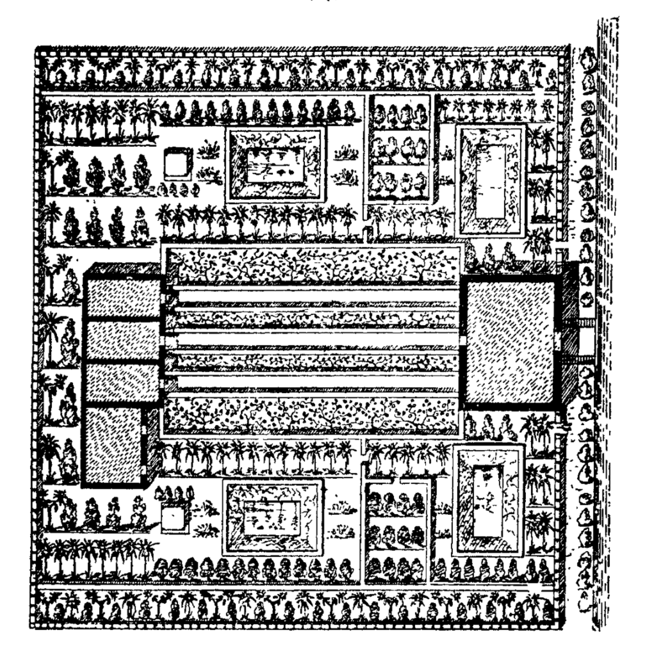
أحواضاً وينشئون في وسطها مماشي. وكانوا يهتمون على الخصوص بترتيب تعاريش الكروم التي كانوا يقيمونها في المماشي الموصلة بين أبواب الحدائق وأبواب القصور . وكانوا يحتفرون فيها بركاً صغيرة ويملأونها ماءً ويزرعون على جوانبها البشنين لترطب الهواء وتروي الزرع

وكانوا يهتمون بزراعة أزهار الزينة للتهادي بها في المواسم والأعياد ووضعها على الموميات . وقد وجد كثير منها فى عدة توابيت . ولو تأملنا في مناظر الحدائق التي وجدت في الآثار لاسيما آثار طيبة لوجدنا أنها لا تختلف عن حدائق سيدنا سليمان عليهِ السلام التي جاء وصفها في التوراة وهي : « بنيت لنفسي بيوتاً . غرست لنفسي كروماً . عملت لنفسي جنَّات وفراديس وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر »[1]

وكان المصريون لا يسألون المعبودات في صلواتهم وتوسّلاتهم ان يروي النيل بمائهِ كل نبات يزرعونه فقط بل كانوا يطلبون منها أيضاً ان تُقعد أرواحهم على فروع الأشجار التي غرسوها بأيديهم ليشمّوا النسيم العليل تحت ظلّها وما ذلك الاَّ لولعهم

---

(١) جامعة — أصحاح ٢ آية ٤ ، ٥ ، ٦



(عن روسليني)
ش ١٩ — رسم حديقة مصرية من الآثار

الشديد بغرس الحدائق بكل أنواع الأشجار

وكان لهم عيد اسمه عيد الحدائق وهو الذي تخضرّ فيهِ الأشجار وتنوّر الأزهار وتنضج الأثمار وفيهِ أيضاً تدعو الجميزة الكبيرة ابنة رب الدار لتجيء وتجلس تحتها وتستظل بفروعها وتسمع تغريد الطيور فوق فروعها بينا يكون عشيقها جالساً بجانبها تشكو اليه غرامها ويشكو اليها غرامه . وقد ترجم ماسپرو

نشيداً وجده في أحد القراطيس البردية هذا تعريبه :

الجميزة الصغيرة التي غرستها بيدها

قد شرعت تفوه بألفاظ مثل قطر الشهد

انها جميلة وعودها أخضر

خضرتها أشد من خضرة البردي

انظر ترَها مثقّلة بالثمر

ولونهُ أشد حمرةً من الياقوت

أما لون ورقها فكالزجاج وجزعها كعين الهر

الهواء رطب تحت ظلها

ترسل خطابها مع فتاة صغيرة

هي ابنة البستاني الكبير

تذهب الى حبيبتها مسرعة وتقول لها

تعالي اجلسي في الحديقة

ودعي خدمك يأتوك بالغذاء

ها هم قادمون بالنبيذ والخبز على أنواعهما

وكذا أزهار اليوم والأمس

وأصناف الفاكهة المنعشة

فتعالي واقضي هذا اليوم والغد وبعده تحت ظلي

رفيقك يجلس على يمينك

وأنت تقدمين له الشراب

واياك أن تردي له طلباً

فانني كتومة للأسرار

لا أفشي سرًّا ولا أنم

فتعالي أيتها الحسناء

وكان رمسيس الثالث مولعاً بزراعة الحدائق فحوّل مدينة طيبة[١] المقفرة الى جنة غنّاء مغروسة بجميع أنواع الأزهار والنباتات . وليس في هذا القول مبالغة لأنهُ لم يكتفِ بنباتات بلاده بل جاء بنباتات كثيرة أخرى من الأقطار البعيدة واجتهد في انجاح زراعتها

وقد لاحظ ولكنصن أن البعض كانوا يزينون مقابرهم بانشاء حدائق أمام أبوابها وكان يقوم بخدمتها عادة صديق حميم الميت فيأتي في كل يوم بالماء من النيل أو من الآبار الموجودة في حواجر الجبال واستدل على ذلك من وضع طمي من النيل أمام تلك

---

(١) توجد طيبتان وهما طيبة الأحياء وهي الحي المسكون بالناس وطيبة الموتى وهي الجبانة الكبرى التي يعمرها الموتى واذا قلنا طيبة من دون أن نبين نوعها فيكون الغرض طيبة الأحياء فليلاحظ ذلك القراء

المقابر مع أنها موجودة في أماكن رملية مقفرة

وكانوا يغرسون الأشجار على أنواعها حول الهياكل ايضاً وقد جاء في الآثار أن هيكل قرص الشمس كان مشيداً في وسط جنة غنَّاء ذات أشجار ونباتات غضّة لا يحصى لها عدد

وكانوا يرصفون المماشي على الجانبين بشجيرات الأزهار داخل قصاري من الخزف . وكانوا يربون في حدائقهم النحل داخل خلايا مصنوعة من الطين . ويزعم ولكنصن أنهُ رأى رسماً لهُ في مقبرة بطيبة . والسبب في اهتمامهم بأمر تربيته أنهُ كان يقدَّم الى الهياكل ضمن النذور ويؤكل مع الفاكهة ويدخل في عمل المربات

الفصل السابع

آفات الزراعة

الجراد والدودة

يُستدل من الآثار ومما جاءَ في بعض الأسفار الدينية أن آفات الزراعة ليست حديثة في مصر وأن الفلاح المصري القديم كان يشكو منها مثلما يشكو فلاح هذا العصر وأحياناً اكثر منه وانما بكل أسف لم يصل الينا من تلك الآفات إلاَّ الجراد وقد وُجد له رسم في مقابر طيبة من عصر الرمسيسيين أي قبل الميلاد نحو الف واربعمائة عام وجاء ذكرهُ في جملة مواضع بالتوراة . والدودة وقد ورد ذكرها ضمن خطاب وجّهه أحد الفلاحين الى مولاه شاكياً مما أصاب زراعته في ذلك العام من الخسائر الفادحة . والفراش وقد ذكر ولكنصن أنهُ رأى له صوراً في الآثار



(عن ولكنصن)

ش ٢٠ — رسم جرادة نقلا عن آثار طيبة

أما الجراد وهو أحد الضربات السبع التي ضُربت بها مصر في أيام سيدنا موسى الكليم عليهِ السلام فقد جاءَ عنهُ في التوراة بسفر الخروج بالأصحاح العاشر ما يأتي :

قال موسى وهرون مخاطبين فرعون مصر :

«هكذا يقول الرب إله العبرانيين الى متى تأبى أن تخضع لي . أَطلق شعبي ليعبدني . فانهُ إِن كنت تأبى أن تطلق شعبي ها أنا أجيءُ غداً بجراد على تخومك فيغطّي وجه الأرض حتى لا يستطاع نظر الأرض ويأكل الفضلة السالمة الباقية لكم من البَرَد ويأكل جميع الشجر النابت لكم من الحقل . . »

« فمدَّ موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل . ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد فصعد الجراد على كل أرض مصر وحلّ في جميع تخوم مصر شيءٌ ثقيل جدًّا لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك وغطّى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض واكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البَرَد حتى لم يبقَ شيءٌ أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر »

«فخرج موسى من لدُن فرعون وصلّى الى الرب فردَّ الرب ريحاً غربية شديدة جدًّا فحملت الجراد وطرحته الى بحر سوف[1] ولم

---

(١) بحر سوف هو البحر الأحمر وكان يسمى عند المصريين القدماء بحر قيتي وعند العرب بحر الحجاز وبحر السويس وخليج العرب وعلى الخصوص بحر القلزم . ويسمى عند العبرانيين بحر أدوم « أي الأحمر »

تبق جرادة واحدة فى كل تخوم مصر . انتهى

أما الخطاب الذي جاء فيهِ ذكر الدودة وفتكها بالزراعة فهذا نص ما ذكر فيه وهو مترجم عن الأصل المصري القديم الوارد في قرطاسي ساليير وانسطاسي البرديين: «اكلت الدودة[1] نصف المحصول وفرس البحر النصف الآخر وكان في الحقول فيران كثيرة كما ان طوائف الجراد نزلت فيها فأكلت وكذلك الغنم اكلت والعصافير الدورية سرقت . . . الخ »

وأخبرني صديق لي من المشتغلين بالشؤون الزراعية أنهُ سمع ان أحد العلماء المشتغلين بالآثار فكك مرة أجزاء غطاء تابوت فوجدها عبارة عن قراطيس بردية مكتوبة بالخط المصري القديم وفي أحدها منشور ملكي زراعي يقول فيهِ مدير مصلحة الزراعة للمزارعين ان الدودة اكلت أغلب محصول العام الماضي بسبب اهمالهم في مقاومتها وانهُ يجب عليهم ان يبذلوا الجهد في

وبحر سوف أي البردى أو الطحلب أو الاغتيال والهلاك وسمّاه قدماء الأغارقة بحر اريثريا

(١) يظن جناب المستر جرالد ددجن مستشار وزارة الزراعة بمصر والدكتور ليوز جوف مدير قسم الحشرات بالوزارة المذكورة ان الدودة التي كانت منتشرة في مصر وقتئذٍ والمشار اليها هنا هي المعروفة بالقارضة

ذلك العام لمكافحتها وتخفيف وطئتها

ولقد كان في مصر عدوّان لدودان للجراد وهما الطير المعروف بالكركي والحيوان المعروف بابن آوى وقد تكلم عليهما ولكنصن فقال عن الأوّل انه كان يطارد الجراد ويبيده ولذا كان يُعبد وقال عن الثاني انهُ كان يسير في السهول باحثاً عمّا يقتات به وكان يفرح عند رؤيته طوائف الجراد لأنهُ كان ينقضّ عليها ويتغذى بها



الفصل الثامن

تربية المواشي والطيور المنزلية

يُستدل من الرسوم التي وجدت في الآثار لا سيما مقابر الطبقة القديمة ان اعتناء قدماء وادي النيل بتربية المواشي لم يكن أقل من اهتمامهم بالشؤون الزراعية وذلك لمعرفتهم أنها ضرورية للزراعة وأنه بدونها لا يستطيع الفلاح أن يتم الأعمال اليومية المطلوبة منه

واذا أردنا أن نعرف السبب الحقيقي لاعتنائهم بتربية الحيوانات على اختلاف أنواعها وجب علينا أولاً أن نبحث بحثاً دقيقاً في اصول الديانة المصرية القديمة لأنها بالرغم عما تحويه من الخرافات التي لا يقبلها العقل تشمل كثيرًا من الحقائق التي لا يمكن معرفتها الاّ بواسطتها

فالديانة المصرية القديمة أساسها عبادة الله سبحانه وتعالى في صورة تقرّبه من أذهان الناس وخصوصاً فئة العامة التي لا يمكنها أن تفهم الأسرار الدينية والشروح اللاهوتية الفلسفية . مثال ذلك الشمس والبقرة هاتور والعجل أبيس ونهر النيل والزراعة الخ .

وقد كان في الأصل لكل بلد ولكل قبيلة إله خاص ثم لما تكوّنت المملكة المصرية وانضمت كلها تحت لواء واحد ضُمت هذه الآلهة الى بعضها واضيفت اليها على توالي الأيام سلسلة الملوك الذين كانوا يتألهون بمجرد انتقالهم من هذا العالم الفاني الى عالم البقاء والخلود حتى صارت مصر أشبه شيء بهيكل كبير يمتد من سايس شمالاً الى أسوان جنوباً وفيهِ الوف من المقاصير المحتوية كل مقصورة منها على إله له كهنة واتباع وأوقاف وأعياد وطقوس دينية خاصة وهلمّ جرّاً

وانما نظرة فى ذلك البنثيون *Panthéon* (أي مجموعة الآلهة المصرية) ترينا لأول وهلة أن المصريين كانوا فى اختيار آلهتهم ينتخبون قوّة نافعة أو عظيمة ويصوّرونها فى شكل قريب من هيئتها الحقيقية أو رمز خاص بها أو أي شيء يكون له بها علاقة . مثال ذلك « فتاح » الواهب لرع سر الحياة ووالد جميع الآلهة والبشر فقد صوّروه بشكل انسان مقمّط واقف مغطّى الرأس وماسك بيده صولجاناً كبيراً يمثّل الحياة والقوّة والخلود . والشمس فقد عبدوها باسم « رع » وصوروه بشكل إنسان له رأس نسر يحيط بها صلّ وعلى رأسه قرص الشمس وفي إحدى يديهِ صولجان يمثل القوّة والحكم وفي الأخرى مفتاح يرمز بهِ للحياة والخلود . والعلم

الحكمة فقد عبدوهما باسم « توت » أو « تحوت » ورسموه بجملة أشكال منها شكل قرد للدلالة على النباهة والذكاء . والشرائع والقوانين فقد عبدوها باسم « ماعت » وصوّروها بشكل امرأة على رأسها ريشة العدل وفي إحدى يديها صولجان السلام . والنيل فقد عبدوه باسم « حعبي » ورسموه بشكل إنسان ممتلئ الجسم يحمل فوق رأسه أزهاراً جميلة . . الخ . والصيد فقد عبدوه باسم « نيث » ورسموه بصورة امرأة ماسكة بيديها قوساً ونشاباً

والجدول الشامل لأسماء الآلهة كبير جدًّا وحسبنا القول بأنهُ كان حاوياً لجميع الملوك الذين حكموا مصر من يوم توحيدها الى يوم فقد حريتها وضياع استقلالها . ومن هذا يُرى أن الديانة المصرية لم تكن في الحقيقة إلاَّ ديانة توحيد بالرغم عن تعدّد الصور والأَسماء . ولسنا نقول هذا القول جزافاً أو من دون أن يكون لدينا برهان على صحته لأن في أناشيدهم الدينيـة نفسها أقوالاً صريحة لا تدع مجالاً للشك . منها : (ضمن نشيد للإله رع) « أنت الإله الواحد الذي وُجد منذ الخليقة » . و « أنت الواحد الأَحد » و (ضمن نشيد لأمون رع) « أيها الواحد خالق كل شيء . الأحد موجد الكائنات » و « يا كبير الآلهة الواحد الأحد الذي لا ثاني له » و « الملك الواحد بين الآلهة »

ومنها « هو الموجد لـكل ما يكون اما ما لم يكن فهو في مكنون علمه » ومنها « الله معبود باسمه الأزلي خالق الأرواح في الأشباح » ومنها « الأزلي الذي لا حدَّ له » ومنها « لا تدركه الأبصار سميع لمن يتضرَّع اليهِ » . . الخ

وانا ذاتياً أعتقد أن ما يمكن أن نجده من الخرافات في الديانة المصرية القديمة لم يوضع إلاَّ قصداً من أجل تقريب أُصول الدين الى أذهان العامة . وهذه بالطبع سياسة من الكهنة الذين كانوا بحسب ناموس تنازع البقاء يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على مراكزهم الدينية والأوقاف التابعة لهيا كلهم

ومما تقدم يُرى أنهم اذا كانوا حقيقة عبدوا الحيوانات فإنما يكونون قد عبدوها بالنسبة لكونها قوَّة نافعة . ويا ليت شعري أي شيء في بلاد زراعيـة كمصر أنفع من حيوانات الزراعة — بغض النظر عن بقية الحيوانات ! !

أجل ! عبدوها ليمنعوا الناس عن ذبحها[1] . . عبدوها حتى لا ينقرض من البلاد نوعها . . عبدوها حتى يؤثروا بعبادتها على

---

(١) قال برفيريوس . انما حرمت الشريعة المصرية لحم العجول وعدَّتهُ رجساً لقلة البقر في مصر وكثرة منفعتها ولذلك امتنعوا عن ذبح الأناث حفظاً للنسل

ذهان العامة وهي كما نعلم لا تتأثر بسهولة الاَّ من طريق الدين[١]

وربّ معترض يقول ان بعض الحيوانات الأهلية مثل الخنزير
م تكن صالحة للزراعة ومع ذلك كان الكهنة يحظرون على الناس
ذبحها واكلها فلماذا؟

أما الجواب على ذلك فهو ان اكل لحم الخنزير مضرّ بالصحة
وانما اذا قالوا هذا القول للعامة فقد لا تصدّقهم وتذبحه وتأكله
بالرغم عن ارشاداتهم ولذا جعلوا التحريم من الوجهة الدينية

وما قلناه عن الحيوانات نقوله ايضاً عن الطيور لأن أغلبها
مثل أبي قردان يأكل الديدان المتلفة للزرع ولذا حرّموا أكل لحم
الكثير منها بدعوى أنها طيور مقدسة لا يجوز صيدها
واكل لحمها

وبالطبع ما لم يكن من حيوانات الزراعة وطيورها مقدساً
وكان معتنى بهِ فسبب الاعتناء بهِ هو أن نفعه واضح كالشمس

---

(١) يزعم ولكنصن أن من أسباب عبادة الحيوانات أن المصريين
كانوا يحملون في حروبهم أعلاماً عليها رسوم حيوانات فلما كانوا ينتصرون
كانوا يظنون أن هذه الحيوانات ساعدت على الانتصار ولذا حظروا على
الناس ذبحها اعترافاً منهم بفضلها عليهم ثم على توالي الأيام اتخذوها معبودات
ونظموها في سلك الآلهة العظام

في رابعة النهار ولذا لا يحتاج الى تذكير أو تحذير من رجال الدين

ولقد كان أحب الحيوانات الى المصريين الثيران والأبقار ولا تخلو مقبرة من مقابر الطبقة القديمة من رسم راع يسوق ثيرانه أو يمشي بها في المستنقعات أو يعلفها أو يحلب ألبانها

وكانوا يفتخرون بالإكثار من المواشي فترى صاحب المقبرة واقفاً أو قاعداً وبالقرب منه نظّار مواشيه وكتّاب عزبته ومواشيه على اختلاف أنواعها. وقد وجد فى احدى المقابر أن أحدهم كان يملك ١٢٢ خروفاً و ٣٠٠ جدي و ١٢٤٠ عنزة و ١٥٠٠ خنزير ووُجد في مقبرة أخرى قريبة من الأهرام ان صاحبها كان يملك ٧٦٠ حماراً و ٩٧٤ خروفاً و ٨٣٤ ثوراً و ٢٢٠ بقرة و ٣٢٣٤ عنزة

وكانوا يعتنون غاية الاعتناء بتربية العجول ويختارون لها البقاع الخصبة المملوءة بالحشائش لترعى جيداً فيها وتسمن. وكان العجل أبيس معبوداً لقسم منف والعجل منفيس معبوداً لقسم عين شمس[١] وكانوا لشدة ولعهم بتربية الثيران والأبقار يسمّون كل

---

(١) ذكر هيرودوتس أنه كان من عادات المصريين أنه اذا مات لهم ثور أو عجلة أقاموا عليه مأتم حزن ثم إن كان الميت عجلة طرحوها في اليم وإن كان ثوراً دفنوه في الارباض وتركوا قرنيه ظاهرين فوق التراب ليدلاّ عليه وعند ما يتم تعفن رمته تجيء من اتربيثي سفينة وتنقل عظامه الى المكان المخصص لدفن عظام هذا الحيوان المقدس

واحد منها باسم خاص فيقولون في العجل الصغير مثلاً «الثور الطيب» وفي البقرة المسمنة «أطهر الابقار» ويزينون جيد المحبوب منها بالأقمشة الزاهية الألوان والعقود اللطيفة

وكانوا يعتبرون البقرة حيواناً مقدساً والثور مثالاً للقوة والشجاعة . وبينا نرى جميع الأمم تشبه آلهتها العظيمة ذات النفوذ والسلطان وأبطالها الشجعان بالأسود الضارية نرى المصريين يشبهونهم بالثيران القوية[1] !!! وكانوا يميلون كثيراً لمشاهدة الثيران وهي تتناطح مع بعضها ولذا كانوا يعلمونها التناطح وقد وُجدت عدة رسوم ترى فيها الثيران تتناطح مع بعضها ووراءها رجال اشداء في ايديهم عصي قصيرة يحثونها بها على التناطح أو يمنعونها عن الفتك بعضها ببعض عند التحمس

على ان نظرة في ثيران مصر في ذلك العهد ترينا أنها تستحق كل هذا الاعجاب واكثر منهُ لأن شكلها يدل على القوة والنشاط

وكانوا يستولدونها ويستخرجون منها أنواعاً مختلفة في اشكالها واصناف لحمها

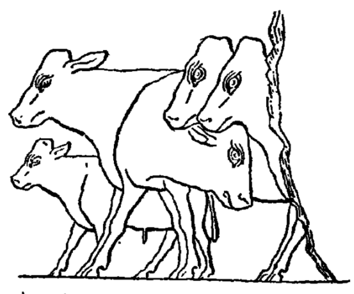
---

(١) كان أوزيريس ملقباً «بثور أمنتي» وشبّه أمون بثور مقدس وسمي الميت في كتاب الموتى «بالثور ذي القرون الحادة» و«ثور سكان مدينة آن» و«الثور المعد للقربان» و«ثور نوت» ورسموه بهيئة ثور

وكان للثيران في تلك العصور قرون طويلة هلالية الشكل كما يرى في الآثار وكانت تلك الثيران فى الغالب ناصعة البياض وانما يتخلل بياضها في كثير من الأحيان نقط كبيرة سوداء أو حمراء أو صفراء باهتة أو بنية

وقد شوهدت بخلاف ذلك صور ثيران سوداء اللون ولكن حمراء البطون والكواحل

وقد وجدت في آثار الطبقة القديمة صور بعض ثيران لها قرون صغيرة ثم شوهدت بكثرة في آثار الطبقتين الوسطى والحديثة ونحن لا ندري ما اذا كانت قلة الرسوم التي وجدت في آثار الطبقة القديمة دليلاً على قلتها في ذلك العهد أو لأن مصوّري الطبقة القديمة لم يستحسنوا رسمها كثيراً بتلك الصورة ثم خالفهم في الذوق مصورو الطبقتين الوسطى والحديثة



(عن لبزيوس)

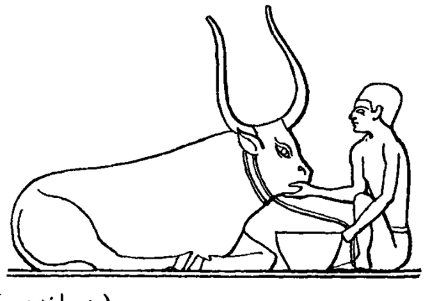
ش ٢١ — رسم مواش بلا قرون من آثار الطبقة القديمة

وقد وجدت بخلاف ما تقدم ذكره صور ثيران بلا قرون ولكننا لم نرها في مناظر الحرث والدراس كلية

وكان الفلاحون يحبون هذا النوع ويفضلونهُ على سائر الأنواع ويزينونه بالأقمشة الملونة ويقدمونه هدايا لسادتهم وأولي الأمر فيهم وانما لا يمكن القول بأن هذا النوع كان نادر الوجود لأنه ورد في احصاء مواشي خفرع عنخ ٨٣٥ ثوراً بقرون طويلة و٢٢٠ ثوراً بلا قرون

ولم يكتف المصريون بشكلها الطبيعي بل استعملوا طرقاً خاصة لتغيير أنواعها بالتوالد وكان لهم فضلاً عن ذلك طريقة خاصة يلفّون بها قرون الثيران ويميلونها الى اسفل ليجعلوا لها منظراً خاصاً مضحكاً . وذلك أن يبردوا جزءاً صغيراً من الجهة المراد لف القرن منها أو يجيئوا بقضيب من الحديد المحمي على النار ويضعوه بالقرب منه ويضغطوا عليه بأيديهم فيلتف معهم بسهولة . وكانوا ينشئون لها زرابي ومعالف ويخصصون لها خدماً ليعلفوها ويخدموها فضلاً عن انهم كانوا يخصصون بعضها للتناسل . وكان الرعاة يحسنون صناعة توليد المواشي ويعتنون كثيراً بعلفها ليحسن نتاجها وكانوا يسمّنونها باطعامها بعجين الخبز . ويظهر مما وجد في الآثار ان طريقة التسمين بالعجين كانت معروفة وشائعة الاستعمال

منذ عهد الطبقة القديمة لأنه شوهدت كثير من الرسوم الممثلة للرعاة وهم يعجنون العجين ويصنعون منه دحاريج ويقعدون القرفصاء امام الثيران ويضعونها في افواهها وهي تأكلها متلذذة من طعمها



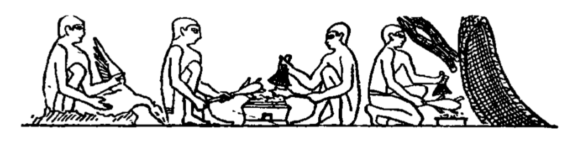
(عن لبزيوس)

ش ٢٢ — رجل يعلف ماشية

وكان النشيط من الرعاة يلاحظ بصفة خاصة مسئلة مياه الشرب فكان يجيء بجرات الماء النقي ويضعها أمامها ويربّت عليها لتشرب . واذا أراد أن يحلب منها اللبن فيفعل كما شوهد في رسم بسقارة أي انه يربط أرجلها الخلفية ببعضها أو يدع أحد زملائه يمسكها ويربط صغارها بعد حنانها في وتد بالقرب منها ثم يشرع في حلبها وعندما يفرغ من الحلب يحل قيدها وقيد صغارها

وقد ذكر شاباس أن المصريين كانوا يستعملون الثيران للركوب مستشهداً على ذلك بما جاء في قصة الأخوين

وكانت الحيوانات في أيام الطبقة القديمة تطلق في المروج لتأكل الأعشاب الخضرة التي تنبت فيها بكثرة كما شوهد في مقبرة تي بسقارة وأحيانا كانوا يرسلونها الى جهات الشمال لترعى فيها وتسمن وتتناسل وانما كانوا يكوونها على ظهورها بالحديد المحمي بأشكال مخصوصة ليميزوها عن غيرها ويجدوها بسهولة عند اختلاطها بمواشي الغير . وكان لكل نوع من الحيوانات رعاة مخصوصون ولكل فرقة من الرعاة رئيس مسؤول وانما كانوا معتبرين فئة منحطة ولذا يصورونهم في الآثار بصور مضحكة تستلفت الانظار مثل أقزام وعرج وحدب ... الخ



(عن برو وشيبيه)

ش ٢٣ — عيشة الرعاة في المستنقعات نقلاً عن رسم في احد اهرام سقارة

وكان من عادات هؤلاء القوم ألاَّ يقصوا شعورهم ولا يعتنوا بلباسهم وكانوا يعيشون مع حيواناتهم في المستنقعات فضلاً أنهُ لم يكن لهم مأوى غير العشش المصنوعة من البوص وكانوا يتنقلون بها من مكان الى آخر حسب ظروف الاحوال . وكنت تراهم عند الفراغ من العمل يجتمعون مع بعضهم ليشووا الأوز على

البوص وفروع الأشجار الجافة ويأكلوه وهم يُرون في بعض الصور جالسين أمام الحيوانات لتقديم العلف أو دحاريج العجين اليها. وكانوا من شدة التعب ينامون في أغلب الليالي خارج العشش وفي أيديهم عصيهم الغليظة وبالقرب منهم كلابهم لتحرسهم وتحرس مواشيهم



(عن برو وشيبيه)
ش ٢٤ — عيشة الرعاة في المستنقعات نقلاً عن رسم في احد اهرام سقارة

وكان هؤلاء المساكين يشكون دائماً من عيشة المستنقعات ويحنُّون دائماً الى أوطانهم التماساً للراحة فيها. وكانوا يركبون في تلك المستنقعات القوارب الخفيفة المصنوعة من البوص لأنها واسطة التنقل الوحيدة في تلك البقاع ويُرون في الآثار راكبين تلك القوارب ووراءهم قطعان من المواشي على اختلاف أنواعها سابحة في الماء. وكانوا لا يخافون من شيء اكثر من التمساح الذي كان يضرّهم ويضرّ مواشيهم حتى لقد كان اليوم الذي يظهر فيهِ يوماً عبوساً قمطريراً. وكانوا اتقاءً لشرّه يتلون تعزيمة خاصة زاعمين أنها تنجيهم من شرّه وها هي التعزيمة كما وردت في الآثار والقراطيس

البردية : « قف أيها التمساح ابن ست (الشيطان) لا تحرّك ذنبك ولا تحرّك ذراعيك ولا تفتح فمك وليكن الماء سوراً من نار أمامك . قف أيها التمساح ابن ست »

وكانوا عند عودتهم الى أوطانهم يتوجهون رأساً الى سادتهم ليقدموا لهم واجبات التعظيم والاحترام وهناك يسجدون أمامهم ويقدمون لهم أولاً هدايا من الغزلان الرضيعة أو الطيور ذات الألوان الجميلة ثم يتقدم كتَّاب الأباعد ليعدّوا المواشي نوعاً نوعاً ويسيروها أمام صاحبها ليراها بعينيه وينشرح صدره . وبعد ذلك يقدم الكتَّاب الكشف اليهِ ليتحقق من صحة الأرقام . وكانوا كما قلنا يفتخرون بكثرة عددها



(عن ولكنصن)

ش ٢٥ — الرعاة يقدمون حساباً عما في عهدتهم من المواشي

نقلا عن أثر بالمتحف البريطاني مأخوذ من طيبة

وكانوا بصفة خاصة يعتنون بالكباش لأنها مقدسة[١] . وكانوا أحياناً يصيدون الظباء والأوعال ويربونها بعد استئناسها مع سائر المواشي الأهلية فتعيش بينها كما لو تكون منها . والظاهر أنهم كانوا يأكلون لحم الظباء لأنها شوهدت في كثير من الرسوم ضمن القرابين. وكانوا يعتنون كثيراً بتربية الخيل — وتسمى باللغة المصرية القديمة سمسم أو سمس — لاستعمالها في النقل والحرب والزراعة ولذا كانوا ينشئون لها اسطبلات منظمة ويخصصون لها الخدم . وقد ذكر بلوتارك *Plutarch* المؤرخ أن المصريين كانوا يعرفون الخيل من عصر معبوداتهم لأن هوروس سأل مرة أباه عن أنفع الحيوانات للحرب فقال له الخيل التي يلحق الانسان بها عدوّه فيقتله . وانما مع وجود هذه العبارة لم يُرَ للخيل أثر إلاَّ في أيام الاسرة الثامنة عشرة

وقد ذكر شاباس *Chabas* ان المصريين القدماء لم يستعملوا الخيل إلاَّ قبل الميلاد بنحو ١٦٠٠ عام ولكن يستدل من الآثار

---

(١) كانوا يرسمون الإله خنوم إله طيبة والشلال بهيئة كبش ولذا قرَّب بعضهم لفظة غُنوم من لفظة خنّوم وكانوا لا يضحّونها إلاَّ مرَّة واحدة في السنة وذلك في عيده وفي هذا اليوم كنت ترى كل من في الهيكل يلطم نفسه وينعيه وفي النهاية يضعونه في صندوق مقدّس

على أنها استعملت في أيام العائلة الثامنة عشرة ويظن أنها دخلت مصر مع الرعاة عندما أغاروا عليها. وكان للجياد المصرية شهرة عظيمة عند سائر الأمم المعاصرة لقدماء وادي النيل فقد ذُكر في التوراة أن سيدنا سليمان عليهِ السلام كان يشتري الخيل التي تلزمه من مصر بمائة وخمسين شاقلاً فضة الجواد الواحد وذلك من جماعة التجار الذين يتنقلون بين مصر والشآم

أما الجمال وتسمى باللغة القديمة المصرية « كمليو » و « كملي » فقد قال عنها العالم شاباس انها كانت مجهولة عند المصريين في الطبقة القديمة وأنها لم تعرف الاَّ في أيام الطبقة الوسطى بدليل ما جاء في التوراة بسفر الخروج وهو أن من ضمن الهدايا التي قدّمها فرعون لسيدنا ابراهيم عليهِ السلام الجمال. وذكر أيضاً في سفر التكوين أن ثروة سيدنا يعقوب عليهِ السلام كانت جمالاً وحميراً. وقد ذكر الجمل في بعض القراطيس البردية منها قرطاس لأنسطاسي وآخر معروف باسم قرطاس پولونيا. وكانت الإبل مستعملة عند المصريين للنقل وحمل الأَثقال

أما الحمير وتسمى عند المصريين القدماء « عاوُ » فكانت كثيرة عندهم وكانوا يستعملونها للنقل والدراس وما شاكل ذلك

أما الخنازير وتسمى عند المصريين القدماء « ررت » فقد

تكلمنا على وجوه استعمالها وقلنا انها كانت معتبرة عندهم نجسة ولا يأكلون لهذا السبب لحمها ولكن بالرغم عن ذلك كانت توجد ظروف خاصة يقدّم فيها المصريون هذا الحيوان النجس قرباناً[١] ويأكلون لحمه مرة واحدة في العام



(عن ولكنصن)
ش ٢٦ — رسم قطيع من الخنازير نقلا عن آثار طيبة

---

(١) يقول اليان *Ælian* انه كان يذبح في عيد القمر ويقدم قرباناً اليه وقد جاء في احدى القصص الخرافية القديمة ان المعبود ست لما ضاق ذرعاً في حربه مع هوروس تقمّص في جسم خنزير اسود . وترسم ام المعبود نم بهيئة خنزير . وجاء في كتاب « عيون هوروس » ان الخنزير كان محرماً بناءً على نص ديني يأمر بانتساخ ست الى صورة خنزير وأنه هدّد بهذه الصورة عين هوروس فانتقم منه الأخير بالحرق في النار ومن ثم فرضت على المصريين تضحية الخنزير

ولقد كان عند المصريين سلخانات خاصة لذبح المواشي وسلخ جلودها بدليل وجود لفظة « سَخُو » المصرية عندهم (أي بيت السلخ) فضلاً عن عبارة صريحة وجدت ضمن أقوال رمسيس الثاني التي عثروا عليها بين نقوش آثار العرابة المدفونة وهي : « أنا ذبحت من أجلك ثيراناً في قاعة القربان وثيراناً وعجولاً في بيت السلخ »

وليس الكشف على الحيوانات ومعرفة الصحيح منها والعليل من مبتدعات هذا العصر بل هو قديم جداً وتكلم عليه هيرودوتس في تاريخه قال :

« يعتقد المصريون ان الثيران طاهرة ومرصودة على الإله باخوس ولهذا السبب كانوا يفحصونها فحصاً دقيقاً بأن كانوا يعينون كاهناً مخصوصاً لهذا الفحص فاذا وجد في الثور شعرة واحده سوداء عدَّه نجساً . وعليه أن يراه و يفحصه واقفاً على ارجله ونائماً على ظهره ثم يُخرج لسانه ليرى هل هو خالٍ من العلامات المذكورة في الكتب المقدسة وهل شعر ذنبه كما يجب ان يكون طبيعياً فاذا كان خالياً من كل محذور أعلنت طهارته وعلامتها أن يربط الكاهن حول قرنيه حبلاً [١] من لحاء البردي ثم يضع

---

(١) هذا نظير وضع الختم على اللحم في أيامنا هذه

عليه طين الختم ويختمه بخاتمه ثم يمضي بهِ الى المذبح . ولم يكن مباحاً التقرب بثور ليس عليه هذه السمة ومن خالف الأمر وجب عليهِ العقاب »

وقد اختص بعض الفلاحين بدرس امراض الحيوانات وكانوا يدعون لفحصها ووصف العلاج لها عند الحاجة . وكانوا يسقونها الدواء بأيديهم . والظاهر ان راعي الغنم الاسرائيلي كان مشهوراً بمهارته في ملاحظة المواشي وتربيتها حتى ان فرعون أمر سيدنا يوسف عليه السلام بمجرد وصول اخوته الى أرض مصر بأن ينتخب منهم من يصلحون لملاحظة مواشيه ويعينهم نظاراً لزرابيه



(عن ولـكنصن)

ش ٢٧ — اطباء بيطريون يعالجون المواشي والطيور نقلاً عن آثار بني حسن

ويشاهد في الآثار ان الفلاح او الراعي الذي كان يهمل في ملاحظة مواشيه يجلد على ظهره بأمر سيده حتى لا يهمل في ملاحظتها مرة اخرى

ولقد استدلوا على نبوغ المصريين في علم طب الحيوان من ان

العالم كوفييه *Cuvier* وجد مرة عظمة كتف « ايبس[١] » محنط مشجوجة ومجبورة . وقد تكلم ديودوروس على هذه المسئلة فقال « ان مهارة المصريين في تربية المواشي هي نتيجة اختبار ورثوه عن آبائهم واجدادهم ولكنهم رقوا العلم بالتفاتهم وشدة اهتمامهم بهِ لأن حياتهم كلها كانت مخصصة لهـذا الغرض . على ان الارشادات العظيمة التي وصلت اليهم في موضوع الطرق النافعة لمعالجة المواشي وهي مريضة والغذاء اللازم لها في الصحة والمرض . يوصلهم لمعرفتها التمرين وحده بل المنافسة التي وجدت بينهم وبين سائر الامم »

وكانوا يجزّون صوف الغنم مرتين في العام وذكر ديودوروس انهـا كانت لجودة المرعى تلد مرتين في العام . وكانوا يعدون الصوف دنساً ولذا كانوا لا يكفّنون بهِ موتاهم ولا تلبسه الكهنة فوق الجسم مباشرة وكانوا يصنعون منه ملابس للعامة وأبسطة ومن الجلود نعالاً ومسوحاً وسيوراً وخياماً وزنانير ومن الجلد الرفيع الابيض أدراجاً للكتابة بدل البردي

والسبب في عدم استعمال الكهنة والطبقة العالية من المصريين الملابس الصوفية والاستعاضة عنها بالملابس الكتانية هو أنهم

---

(١) هو الطير المعروف بأبي منجل

كانوا يرون ان الحشرات تتكوّن وتتوالد بسرعة في الملابس المصنوعة من الصوف بينما الكتانية منها لا تساعد تلك الحشرات على التكوّن او التوالد بسرعة

ولم يكتفِ قدماء وادي النيل بتربية الحيوانات النافعة للزراعة بل اهتموا أيضاً بصيد الطيور على اختلاف أنواعها وتربية البعض منها للغذاء وتقديم القربان

وأهم تلك الطيور الأوز[١] والبط والحمام والكراكي . وقد شوهدت رسوم الأوز وهي تغذى بدحاريج كالتي استعملت للمواشي من أجل تسمينها. وشوهدت أيضاً صورة في آثار الطبقة القديمة يستدل منها على مقدار اعتنائهم بتربية الكراكيَ

وكان المصريون على اختلاف طبقاتهم يقدّمون من الأوز هدايا للهياكل تزلفاً للآلهة ورغبة في الحصول على رضى الكهنة الذين كانوا متسلطين كل التسلط على عقولهم حتى لقد أحصى بعضهم ما أهدي الى الهياكل في ٣١ عاماً فوجد انه لا يقلّ عن

---

(١) يوجد بالمتحف المصري رسم أوز بالالوان في غاية الدقة والاتقان وقد عثروا عليه بمقبرة ميدوم وهذا الرسم يفضله بعض رجال الفن على كثير من الطرف الفنية الحديثة ويتخذه الناقدون برهاناً على تقدم فن التصوير عند المصريين القدماء

٦٨٠,٧١٤ أوزة بخلاف ٥١٤,٩٦٨ ماشية . وكان الأوز معتبراً عندهم سيد طيور المزارع كما كان الثور معتبراً سيد مواشيها

وقد اعتنى المصريون على الخصوص بمسئلة التفريخ الصناعي ونجحوا فيها نجاحاً عظيماً حتى كانت موضوع بحث كل سائح قدم الى مصر في العصور الخالية

وقد تكلم عليه ديودوروس فقال :

« مما يستوجب اندهاشنا ويستحق عظيم ثنائنا الصناعة التي يشتغل بها مربو الدجاج والأوز . فان هؤلاء القوم لم يكتفوا بالتفريخ الطبيعي المعروف في سائر الأقطار بل كانوا يحصلون على عدد لا يحصى من الطيور بطريقة أخرى . فهم يستعيضون عن ترقيد الطيور للتفريخ بالطريقة الطبيعية المعروفة بطريقة اخرى صناعية . ولا تختلف الكتاكيت التي يحصلون عليها بالطريقة الصناعية عن الكتاكيت التي يحصلون عليها بالطريقة الطبيعية في شيء كلية »

وكان لهذا التفريخ وقت معلوم ويشتغل به قوم اختصاصيون لهم معامل في كثير من القرى والبلدان الصغيرة

الفصل التاسع

الفلاح والملك

لقد كان الملك في الممالك الشرقية عموماً ومصر خصوصاً المحور الذي تدور عليهِ رحى الأَعمال في طول البلاد وعرضها وكان كل شيءٍ فيها من انسان وحيوان وطير ونبات وعقار ملكاً له دون سواه وهو في نظر الرعية الكل في الكل واليهِ وحده كان يدفع الخراج وهو وحده صاحب الحق في اعلان الحرب وغزو البلاد واخضاع القبائل المتمردة وله وحده تبنى الدور والقصور والأهرام وكان كل ما في البلاد ملكاً له وله وحده حق التصرف فيهِ كما يشاء من دون أن ينازعه منازع . واذا سمح لفرد من رعيته بأن ينتفع من عقار فيكون ذلك على سبيل الهبة التي يستطيع أن يستردها في أي وقت يريد . فضلاً أن كل فرد من المؤتمرين بأمره في يده حياته فإن شاء أبقاها له وإن شاء جرَّده منها

وجملة القول انهُ كان في نظر الجميع إلهاً منظوراً ولم يكن بينهُ وبين الآلهة فرق إلاَّ في أنهُ بينما كان يقال للآلهة مثل أمون رع واوزيريس وهوروس «الإله العظيم» كان يكتفى بأن يقال للملوك

« الآلهة الطيبون » لأن جميع الملوك كانوا معتبرين من نسل الآلهة

ولزيادة الاحترام كان الناس لا يلفظون أسماء ملوكهم في أيام حكمهم بل يكتفون بذكر ألقابهم أو فقط يقولون في الأوامر وما شاكلها « الملك الساكن في طيبة يأمر بكذا وكذا »

وكان الملك يلقّب عادة بألقاب كثيرة منها «حاكم القطرين» و«موحّد القطرين» و«حاكم مصر» وفي المكاتبات الرسمية يلقّب بملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري وكان يسمى عندجلوسه على عرش أجداده باسم خلاف اسمه الذي كان معروفاً بهِ وهو أمير ويوضع ذلك الاسم الجديد في الخانة الملوكية بعد اللقب

ولزيادة التفخيم كان الكتّاب في أغلب العصور يضيفون عبارات تبيّن مكانة ملوكهم عندهم كقولهم « هوروس » موحّد القطرين صاحب اكليل العقاب والحيـة . هوروس الذهبي . روح الآلهة . ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري . رع صاحب العيش الرغيد . ابن رع . . . . الخ

وكان عرشه يسمى « مقعد هوروس العظيم » وكان النشيط من الملوك يجلس على عرشه ويحمل على اكتاف رجاله ويسير في الطرق ليشاهد ما تعمله رعيته ويتفقد بذاته شؤونهم ويسمع شكاويهم وينصف المظلوم منهم

وكان سكان وادي النيل الذين يأتمرون بأمر الملك كثيرين وانما لا نعرف ما اذا كان المصريون القدماء قد أعاروا مسئلة احصاء عددهم التفاتهم أم لا ولكننا على كل حال نظن أنه يستحيل ان ملكاً كسيزوستريس العظيم يأمر بمساحة أراضي القطر ولا يأمر في الوقت ذاته باحصاء عدد سكانه كما انهُ لا يعقل انهُ يفرض في أيام أمازيس على كل واحد من الرعية ان يتوجه الى القاضي ويبين له كيفية معيشته ولا يحصى عددهم . ولكن من الأسف انهُ لم يصل الينا من سجل الآثار ما يستدل منه على حقيقة عدد سكان وادي النيل في عصر الأسرات

ولقد ذهب ديودوروس الى انهم بلغوا في تلك العصور سبعة ملايين من الأنفس وان عددهم لم يقل عن ذلك في أيامه . وجاء في خطبة اجريبا التي نسبها اليه يوسيفوس *Josephus* المؤرخ الاسرائيلي الشهير ان عدد سكان وادي النيل كان يبلغ سبعة ملايين ونصفاً من الأنفس بخلاف اهالي الاسكندرية الذين كانوا لا يقلون وقتئذ عن ٣٠٠٠٠٠ نفس . وهذا العدد تتألف منه الأمة المصرية على اختلاف طبقاتها مثل حاشية الملك والكهنة والجنود وأرباب الوظائف وأهل العلم والتجار وأرباب الفنون والصنائع والمزارعين والرعاة والنساء والأطفال وهلم جرًّا

ولقد اصطلح المؤرخون المتقدمون على تقسيم هذه الطبقات الى أقسام لا بأس من ذكرها هنا :

تقسيم هيرودوتس : (١) الكهنة[1] (٢) الجنود (٣) رعاة الأبقار (٤) رعاة الخنازير (٥) التجار وأرباب الفنون والصنائع والحرف (٦) الفلاحون (٧) التراجمة

تقسيم أفلاطون : (١) الكهنة (٢) الجنود (٣) الرعاة (٤) الفلاحون (٥) أرباب الحرف والصنائع (٦) الصيادون

تقسيم ديودوروس الصقلي : (١) الكهنة (٢) الجنود (٣) الرعاة (٤) الفلاحون (٥) أرباب الحرف والصنائع

واذا أنعمنا النظر في تقاسيم هؤلاء المؤرخين نجد أنهم اتفقوا على وضع الكهنة في أعلا سلّم الطبقات ويأتي بعدهم الجنود ثم الرعاة ثم المزارعون أي أن المزارعين كانوا في نظر المصريين طبقة منحطة وهذا مخالف للواقع لأن الآثار أثبتت لنا أن مصر كلها من اكبر رأس فيها الى أحقر إنسان كانت تشتغل في الزراعة فالكاهن مثلاً كان كاهناً وفي أوقات الفراغ فلاحاً والجندي كان

---

(١) يأتي تحت قسم الكهنة أهل العلم لأن الكهنة في الدور التاريخي كانوا هم العلماء والعلماء هم الكهنة فبينما كنت ترى الكاهن خادماً لأحد المعبودات كنت تراه أيضاً طبيباً أو منجماً أو رياضياً أو شاعراً . . . الخ

جندياً وفي أوقات الفراغ فلاّحاً . . وهلم جرّاً . بل ان عناية المملكة ذاتها بإنشاء مصلحة للزراعة وتعيين موظفين لها و بناء شون للغلال في كل بلد من بلاد القطر برهان قاطع على أنهُ كان للفلاّح المصري مركز خاص لا يزاحمه فيهِ أرباب الحرف والصنائع والفنون الأخرى

صحيح أن الفلاّح كان محروماً من بعض الامتيازات المهمة ولكن حرمانه من هذه الامتيازات ليس بالنسبة لكونهِ فلاّحاً بل لأنهُ كان غير متعلم وهذه الامتيازات كانت لا تمنح إلاّ للمتعلمين أي أنهُ اشترك في الحرمان منها الفلاَّح والتاجر والنجار والحداد والخزاف والصائغ والمحنّط . . . الخ

وحتى يعرف القارئ ماهية تلك الامتيازات يكفي أن يعرف أن الملك كان مصرّحاً لطائفة المتعلمين (أي الكتَّاب) بأن يأكلوا من الشون الملوكية هم وعائلاتهم وجميع اللائذين بهم من دون مقابل لأن المصريين كانوا يعتبرون مهنة العالم المهنة الوحيدة التي يعيش صاحبها حاكماً نفسه لا محكوماً بغيره ولذا كانوا يقولون لكل ناشئ على سبيل النصيحة « هب فؤادك للعلم وأحبّه كأمك لأنهُ لا شيء في الوجود ثمين مثله »

وقد اكتشف لبزيوس في الجيزة مقبرة لرجل من أعياز

الأسرة السادسة كانت وظيفته الرسمية «أمين دار الكتب الملوكية» وهذا برهان كاف على أن قدماء المصريين كانوا مهتمين بأمر المعارف ولا بد أن تكون هذه الدار كبيرة ومحتوية على مؤلفات نفيسة للغاية حتى استحقت أن يعيّن لها أمين من الأعيان يفتخر بعد موته بأنهُ كان أميناً لها في حياته

على انه يلاحظ ان الأولاد كانوا يتساوون ببعضهم بمجرد دخولهم دور التعليم أي ان ابن الملك وابن الأمير وابن الوزير وابن الفقير كانوا يعاملون معاملة واحدة ويتعلمون تعليماً واحداً. وكم من ابناء الفقراء وصلوا الى أسمى المراكز الادارية والسياسية وقبضوا بأيديهم على أعنّة الأحكام في البلاد كما أنبأنا بذلك رواة الأخبار!!

ومن هذا يُفهم ان باب الترقي لم يكن مغلقاً في وجه الفلاّح بل كان مفتوحاً أمامه وأمام سواه على السواء. وانما المسئلة مسئلة وجود ميل فطري عنده للتعليم أو عدم ميل اليه بالكلية. فان كان ميالاً الى التعليم وصل بطبيعة الحال الى المراكز السامية التي يتطلّع اليها كل انسان وان كان «يخاف من رؤية الكتب ويخشى ان يضرب به المعلم في المكتب» كما يقولون عاش فلاّحاً ومات فلاّحاً على اننا لو تأملنا قليلاً لوجدنا ان على الوالدين في الغالب تقع

المسؤولية لأنهم يفضلون أن يشتغل أولادهم معهم منذ الصغر في زراعة الأرض وفلاحتها ليأخذوا أجورهم وينتفعوا بها على ارسالهم الى المكاتب والانتظار حتى يصيروا رجالاً ويلتحقوا بالوظائف الكبرى. وكم من الأولاد ماتوا أدبياً ودفن معهم ذكاؤهم الحاد لأن والديهم أبوا أن يعلموهم في الصغر لا لشيء سوى الطمع في الحصول على ثمار تعبهم من يوم ان يقدروا على العمل والكسب !!!

مثل هؤلاء الأولاد لولا جشع والديهم لوجدناهم قابضين على أعنة الأحكام أو سائرين في طليعة اكبر الجيوش أو من كبار العلماء أو الأدباء وان في قصة الفلاّح التاليـة التي كتبت في أيام الطبقـة الوسطى برهاناً على ان الذكاء كان موجوداً في عشة الفلاّح الصغير مثلما كان موجوداً في قصور الملوك والأمراء وكبار الموظفين

أما موضوع هذه القصة فهو ان فلاّحاً توجه من هيركليوبوليس الى احدى المدن ليحمّل حمارين ملحاً ونطروناً. ولما ظفر بغايته رجع من طريق محصور بين مجرى النيل وبين غيط مزروع قمحاً لسيد عظيم اسمه مرويتنسا. وبينما هو سائر في طريقه لمحه خادم ذلك السيد فهيأ له شيطان الطمع أن يسطو على الفلاّح ويغتصب حماريه وما يحملان ودبّر لهذا الغرض مكيدة وهي أن

يأتي بقطعة قماش ويضعها في أضيق نقطة من الطريق ويحذّر الفلاّح من المرور عليها بحماريه

ولقد كان من نتائج ذلك التحذير الفجائي ان أحد حماريه تحوّل عن طريقه وسار الى ناحية القمح وأكل بعض السنابل وهنا احتدم غيظ الخادم وقبض على الحمارين وأخذهما من الفلاح المسكين غنيمة باردة عقاباً لهُ كما يدّعي . فبكى الفلاح عند ذلك وتوسّل اليه بأن يرد اليه حماريه ويدعه يمضي في حال سبيله ولكن الخادم أبى أن يسمع شكواه وضربه ضرباً مبرحاً حتى كاد يقضى عليه

قضى المسكين نهاره في البكاء والتوسّل ولكن من دون جدوى وأخيراً خطر ببالهِ أن يتوجه الى السيد مرويتنسا في هيركليوپوليس ويشكو خادمه اليه . ولما حضر أمامه ورفع اليه شكواه عرضها هو بالتالي على مستشاريه ليفصلوا فيها بحكمة وروية وسرعان ما أجابوا بأن الفلاح مذنب وان للخادم حقاً في ضربه وأخذ حماريه منه ! ! !

لم يرض الفلاح هذا الحكم الصارم طبعاًفشرع يبرهن بعبارات في منتهى البلاغة على أنه مظلوم وأن العدل والانسانية والشفقة والمروءة تقضي بأن يُرد اليه ماله المغتصب وختم كلامه بقولهِ

مخاطباً مرويتنسا : « يا أيتها الدفة التي تحرّك السماء والقاعدة التي ترتكز عليها الأرض ، يا أبا الفقراء وزوج الأرامل ، يا أخا الأيتام وغطاء العرايا ، اني اطلب منك الرحمة فارحمني ومرْ بأن يُردّ اليّ مالي لأني رجل فقير وضعيف »

فاندهش مرويتنسا عند سماعه هذه الأقوال من فم فلّاح بسيط وتوجه على الفور الى الملك رع نب قان ليحيطه علماً بأن بين فلاحيه رجلاً على ذكاء يندر وجوده في المتعلمين الذي قضوا زهرة الشباب في دور التعليم . ولما مثل بين يدي مولاه وقص عليه الخبر لم يقل اندهاشه عن اندهاش مخبره وأصدر أمره في الحال الى القضاة بأن يتولوا التحقيق ويطيلوه بقدر استطاعتهم وأن يدوّنوا كل ما يسمعونهُ من أقوال الفلاح كلمة كلمة من دون تغيير ليطّلع بنفسه عليها وأمر رئيس شونه بأن يقدم للفلّاح وزوجته وبنيه كل مايحتاجون اليه من غذاء وكساء بحيث لا يعرّفهم مصدره فأطاع القضاة أمر الملك وحققوا القضية وأعادوا التحقيق عدة مرّات متوالية وفى كل مرّة كان الفلّاح يظهر من آيات البلاغة ما يعجز عن وصفه اليراع . ولكن لما طال أمد التحقيق ولم تعد منه على الفلاّح المسكين أقل فائدة ضاقت في وجهه الحيل وعزم على الانتحار ليستريح من حياته التعسة وهنا أخذت مرويتنسا

الشفقة عليه فأمر بإيقاف سير التحقيق ورفع النتيجة الى الملك وما كان أشد اندهاشه عند ما رأى أن بين فلاّحيه الأمين رجلاً يصح أن يكون أستاذاً لأكبر رجال بلاطه المتعلمين !!! وهنا أمر بأن يطلق سراحه ويردّ اليه ماله المغتصب

(عود الى بدء) قلنا ان الملك في الشرق هو الكل في الكل ولكن اذا أنعمنا النظر قليلاً لوجدنا ان هذه الفكرة نظرية لا عملية وان من المستحيل ان يقوم فرد واحد بادارة شؤون مملكة واسعة الأرجاء كالمملكة المصرية ولذا كان الملك يسعى دائماً لاستمالة قلوب الأمراء والأعيان بتقريبهم اليه والانعام عليهم بالاوسمة والالقاب الشرفية والاحسان عليهم بالأراضي الزراعية وتوظيفهم في الوظائف الكبرى ذات المسؤولية وبذا يشركهم معه في الحكم وتسهل عليه ادارة شؤون المملكة وينجو دائماً من شرّ المؤامرات التي يدبرها له اعداؤه ويدع كل واحد من هؤلاء يتفانى في خدمته ويفتديه بحياته

ولزيادة الترغيب كنت ترى الملك يرقي بعض الموظفين بسرعة مخالفاً في ذلك كل نظام ليكونوا قدوة للآخرين وأحياناً كان يقلد الواحد منهم عدة وظائف في وقت واحد مثال ذلك أونا وزير الملك پيپي الأول فلقد وُجد منقوشاً على جدران قبره ما

يأتي : « أونا الأمير، مدير الجنوب، رئيس الكهنة القرّاء، أقرب صديق للملك، قائد عظماء الرجال، وكيل كهنة اهرام الملك ببي ومرنرع، مدير الخزائن الملوكية، كاتب المشروبات، ملاحظ ساحتي القربان، مأمور المقاطع التي تؤخذ منها أحجار هرم الملك، مفتش الغابات التابعة للحكومة . . . الخ »

ولقد كان من نتائج ذلك ان الموظفين الذين اختارهم الملوك ليعاونوهم في ادارة شؤون المملكة لما وجدوا أنفسهم مسؤولين أمام ملوكهم عن كل عمل يعملونه ورأوا في الوقت ذاته ان ملوكهم كانوا يفتخرون دائماً بنشر ألوية العدل والاحسان على الفقراء ومواساة المحتاجين والأخذ بأيدي الضعفاء المظلومين أخذوا هم بطبيعة الحال يبذلون كل ما في وسعهم لتحسين أحوال الادارة واجتذاب قلوب الرعية بدليل ان أموني أمير قسم الغزال في أيام حكم أوسرتسن الأول نقش على جدران قبره عبارة ملخّصها انه لما عين رئيساً لامارته لم يمدّ يده الى صغير بأذى ولم يزعج أرملة لا عضد لها ولا نصير ولم يأمر بسجن أجير ولم ينف راعياً ولم يأخذ بالقوّة عمالاً من رئيسهم ولم يبقَ في أيامه فقراء ولا محتاجون ولما جاء عام القحط أمر بحرث الأراضي كلها من شمال القسم الى جنوبه وأعطى الأهالي كل ما يلزمهم من غذاء وشراب

فلم يبقَ بينهم جوعان ولا عطشان وأعطى الأرملة قدر ما أعطاه للمتزوجة ولم يميز في ذلك بين العظيم والحقير ولا الكبير والصغير ولذا كان محبوباً من الجميع وخصوصاً من الملك الذي أمكنه ان يقتصد له في العام الخامس والعشرين من ولايته ثلاثة آلاف ثور . . . الخ

ولكن لعن الله شيطان الغرور والطمع فهو الذي قلب النظام في مصر وغيَّر كل شيء فيها . فلقد حدث انه لما قسَّم الملك الادارة الى أقسام (أو مصالح) مثل المصلحة المالية (بيت الفضة وشون الغلال) ومصلحة الحرب ومصلحة الأشغال ومصلحة الزراعة والمصلحة القضائية وهلمّ جرًّا وجعل لكل مصلحة رئيساً أو وزيراً مسؤولاً عن أعمال مصلحته كالوزير في حكومتنا السلطانية الحالية وبالتالي عين لكل قسم من أقسام المملكة مديراً ووضع في يده جميع السلطات من ادارية ودينية قويت على توالي الأيام شوكة هؤلاء الوزراء والمديرين واجتهد كل واحد منهم في الحصول على شيءٍ ينمي بهِ ثروته ويوسع دائرة نفوذه وكان من نتائج ذلك ان الفلاّحين بعد ان كانوا يعملون للملك مباشرة ويقدّمون اليهِ جميع محصولات الأراضي التي يزرعونها أصبحوا يقدّمونها الى أمير امارتهم وهذا بالتالي يقدّمها الى المصلحة المختصة بها بعد أن يأخذ

منها لنفسه كل ما تصل اليـهِ يداه لينمي ثروته ويضعف ثروة الحكومة أو بعباره أخرى ثروة الملك ذاته

ولما كان هو صاحب الكلمة النافذة في مديريته وكان الملك لا يعتمد على أحد سواه في الحصول على الجنود اللازمين له في وقت الحرب والعمال الذين يحتاج اليهم لحفر الترع والخلجان وانشاء الجسور والقصور والاهرام فكان هو يشجع دائماً فريقاً من الفلّاحين على ترك الفلاحة والاشتغال بالفنون والصنائع ويفرض على سليمي البنية منهم التوجه الى الثكنات العسكرية للتمرن والاستعداد دائماً للانضمام الى جيش الملك عند الحاجة اليهم

على أنه لما اشتدت سواعد هؤلاء الامراء أخذوا يستخدمون أرباب الفنون والصنائع لقضاء حاجاتهم فجاروا ملوكهم في عمل التماثيل الجميلة وبناء المقابر التي تضارع في فخامتها اهرام الملوك ومقابرهم ثم تحوّلوا الى رجالهم المتمرّنين على الحركات العسكرية فاستخدموهم في الدفاع عن أنفسهم ومحاربة ملوكهم عند الحاجة حتى أصبحت المديريات شبه ممالك صغيرة مستقلة ومن هنا ابتدأت المنافسات وصارت كل مديرية تباهي جارتها بوفرة محصولاتها الزراعية ودقة مصنوعاتها وفخامة مبانيها

ولكن لم يدم هذا الحال طويلاً فانهُ لم يكد يجلس أمنمحمت

الأَول على عرش أجداده ويرَ أنه أصبح ملكاً ضعيفاً بلا مملكة تقريباً حتى شرع في استرداد ما اغتصبه هؤلاء الأمراء من أسلافه وجال في أنحاء المملكة واستعمل الشدة المتناهية وكبح جماح أغلبهم ووضع حدوداً جديدة للأقسام وبيّن لكل قسم ما يخصّه من الأطيان والترع جاعلاً قاعدة التقسيم التي سار عليها ماوجده مدوَّناً في السجلات والأوراق القديمة الرسمية

صحيح أنهُ لم يستطع غل أيدي جميع الأمراء بدليل ما نقش على جدران مقابر أمراء بني حسن من عبارات التهكم على الملوك الذين عاصروهم ولكن هؤلاء العصاة كانوا قليلين

ولقد كان من نتائج حزم أمنمحعت أن الألقاب التي كان يلقب بها الأمراء أنفسهم أصبحت غير حقيقية ولما شعر الموظفون المعينون في أيام هذا الملك بأن ألقابهم أصبحت غير معتبرة في نظر الناس صاروا يكتبون بجانبها كلمة « حقيقي » أي أن ألقابهم حقيقية لا كألقاب أسلافهم

ولما انقرضت الدولة الوسطى وقامت على أثرها الدولة الحديثة كنت ترى الحكم في أيدي الملك وكبار موظفيه والكهنة وصار الكل متضامنين في قهر كل سلطة غريبة وطرد العنصر الأجنبي الذي وُجد بينهم بعد احتلال الملوك الرعاة بلادهم

ولما انتهت حرب الاستقلال الكبرى التي تخلصت مصر بواسطتها من حكم الأجانب وقمع الملوك الوطنيون الثورات الداخلية بمساعدة المخلصين اليهم من رجالهم عاد كل شيء الى الملك باستثناء ما كان الكهنة قد اغتصبوه وأنموا بهِ ثروتهم

ولما كانت أسنّة الرماح هي التي وطّدت دعائم الملك في أيام الطبقة الحديثة وكان للجنود المرتزقة من جهة وللفلاّح من جهة أخرى الفضل الأكبر في الوصول الى هذه النتيجة وكان الملك لهذا السبب مديناً للفلاّح الجندي بمركزه فكان أول عمل قام بهِ الملك لوفاء دينه هو أنهُ وهبهُ كثيرًا من الأراضي الزراعية ليستغلّها مكافأة له على خدماته . ولم يكتف بذلك بل أقال كثيرًا من الموظفين الملكيين من وظائفهم وعيّنهم مكانهم فلم يمض زمن طويل حتى صارت الحكومة عسكرية محضة وهؤلاء بالتالي قويت شوكتهم فخلعوا الملك ذاته واغتصبوا العرش منهُ

ولكن لما كان للكهنة فضل من بعض الوجوه في وصول الجنود الى هذه الغاية فقد كافأوهم بمساعدتهم على امتصاص دماء الرعية وذلك بالحث على تقديم النذور الى الهياكل وضم الأطيان الزراعية الى أملاكهم الخاصة حتى جاء وقت كنت تراهم فيهِ مالكين لربع أطيان القطر المصري وكل فلاّح يسعى للحصول

على وظيفة دينية ليكون له نصيب من ايراد الهيا كل الوافر

ولما قويت شوكة الكهنة انقلبوا على الملك وخلعوه وانتزعوا العرش منهُ وصاروا هم حكام البلاد . ثم تلت ذلك انقلابات سياسية أخرى لا محل لذكرها هنا

ومما تقدم يُرى أن تاريخ الأسرات من أوله الى آخره عبارة عن سلسلة حوادث خيانة وغدر صُبغ فيها أديم الأرض بالدم وللفلاّح في كل دور من أدواره اليد الكبرى في قلب النظام أو بعبارة أخرى كان هو ركن كل حركة في مصر على عهد الفراعنة أي منذ أربعين قرناً على أقل تقدير

وفي الواقع ان كل ما نراه من مظاهر المدنية الحديثة هو من صنع يدي الفلاّح ولا اكون مغالياً اذا قلت انه لو كان للنيل فضل على مصر فان للفلاّح المصري فضلاً أعظم ولو كان قول هيرودوتس « ان مصر هدية من النيل » صحيحاً فان قولي أنا « ان مصر هدية من النيل والفلاّح أصح »

ولكن وا أسفاه ! انني مهما أطريت عمله وكلت له من آيات المدح والثناء أراني مضطراً في الوقت ذاته لأن أقول انه فُطر على الكسل والخمول ولولا الكرباج (السوط) الذي لعب في تاريخ مصر أعظم دور لفضّل الجوع مع الكسل على التوجه الى الغيط

للعمل والحصول على ما يسد به الرمق ! ! !

صحيح ان الكرباج استعمل من وجهة استبدادية لسد طمع القوي وهضم حقوق الضعيف ولكن الله أعلم ماذا تكون عليه مصر الآن لو كان مستبدّو القرون الأولى قد استغنوا عنه واستعملوا اللين والرقة بدل العنف والشدَّة ! !

ان مصر من دون النيل قطعة من الصحراء القحلة القفرة المجدبة ولا أظنها تكون بخلاف ذلك مع وجود النيل ومن دون الكرباج ! !

ولست أدري — والكرباج كما نرى السلطان الحاكم المتسلط في مصر — معنى قول منسل ماريني « ان الشعب المصري شعب معربد صعب الانقياد للحكومات » وقول الامبراطور هادريان لما ساح في مصر « اني وجدت الشعب المصري شعباً سخيف العقول مذبذباً سريع التصديق للخرافات مشاغباً تماماً لا يصلح لشيءٍ كليةً » ! ! !

«خالف تُعرف» مبدأ فاسد سار عليه كلاهما ولا شك — وتلك واسطة للظهور — لأن جميع الذين عاشروا المصريين وكتبوا على مصر خصوصاً هيرودوتس وديودوروس الصقلي مدحوا المصريين وترنموا بمدح أخلاقهم وعاداتهم وجميع صفاتهم ولا غرابة في ذلك

فان الشعب المصري كما نعرف شعب عاش دائماً مستعبَدًا وهيهات لمستعبَد أن يشاغب أو يتصف بالصفات التي عدَّدها منسيل وهادريان إما جهلاً منهم بالحقيقة أو لغرض في نفسيهما — والغرض أحياناً يُعمي ويُصم

على انهُ كان الأجدر بهادريان المفتري أن يصف شعبه بهذه الصفات نفسها لأننا كلنا نعرف الحالة التي كانت عليها بلاده في تلك الأيام

هذا ومع أن عمل الفلاَّح شاق ومتعب وكان الكرباج لا يفارق ظهره أبداً — بحق أو بدون حق — وكانت ثمرة تعبه لا يتمتع بها الاَّ الملك وكبار موظفيه وأذنابهم من جابٍ الى رئيس شونة الى ناظر عزبة الى كيَّال الى كاتب وكانت السخرة من الامور الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها فيؤخذ المسكين في أية ساعة من غيطه ومن وسط أولاده ليشتغل بدون أجرة في حفر الترع والخلجان وعمل الجسور وتشييد الدور والاهرام أو لينضم الى جيش الملك للدفاع عن الوطن أو فتح البلاد وتدويخ العباد وكان فضلاً عن ذلك لا قيمة له في ذاته ولا رأي له يعتدُّ به فانك كنت تراه دائماً هاشاً باشاً يجتمع هو وزوجته وأولاده بعد غروب الشمس في الغيط أو في الدوَّار أو في الجرن للسمَر

الغناء والرقص وغير حاسب للغد حساباً

ومع ان أجرته كانت في الغالب لا تكفيه فانه كان مثال الكرم والجود يبدي مصلحة جاره على مصلحته ويفرح لفرحه ويحزن لحزنه وان أصابه مرض لازم فراشه حتى يمنّ الله عليهِ بالشفاء أو يموت فيواريه التراب ويشق عليه مع عائلته الجيوب

وكان غذاؤه كلباسه في غاية البساطة ولكنهُ كان مع ذلك قويّ البنية لا يشكو من مرض ولا جوع ولا برد . تراه في أيام الشتاء في وسط الغيط أو بجانب الترعة وليس عليهِ غير مئزر قصير يتدلّى من وسطه الى ما فوق ركبتيه بقليل وتراه في الصيف معرّضاً اكتافه لأشعة الشمس المحرقة ومع ذلك لا يشكو

وكانت أجرته عبارة عن بعض محصولات الأرض التي يشتغل فيها وإن احتاج الى شيء آخر فهو يحصل عليهِ بطريق التبادل لأن المسكوكات لم تكن وقتئذ معروفة

ولم يكن المسكين في أي عصر من العصور حرًّا بالمعنى المصطلح عليه بل كان تابعاً للأرض التي يعمل فيها فان انتقلت ملكيتها الى شخص غير صاحبها انتقلت ملكيته هو أيضاً معها وبالطبع تنتقل معه في هذه الحالة عائلته كلها

وكان بعض النظار المعيَّنين لملاحظة الأطيان والمواشي يسيئون

معاملة الفلاحين فيستخدمون زوجاتهم و بناتهم في نسج ملابسهم أو قضاء حاجاتهم وان كان عليهن لمحة من الجمال فلسد شهواتهم وبئس ما كانوا يفعلون ! !

وكانت عيشة الرعاة في مستنقعات الشمال شاقة جداً على ما يظهر لنا من النصوص القديمة لأنهم كانوا دائماً يشكون و يئنون وينتظرون بفارغ الصبر انتهاء موسم تغـذية المواشي وتسمينها ليعودوا الى قراهم ويتمتعوا برؤية زوجاتهم وأولادهم ووالديهم وأقاربهم

وخلاصة القول ان الحرية المتمتع بها الفلاّح في هذا العصر لم يرها ولم يحلم بها اسلافه فليحمد الله على ما هو عليه الآن ويحتفظ بنعمته ويسأله تعالى ان يصلح أموره والسلام



فهرست

١ – فصول الكتاب

صفحة

٢ – رسوم الكتاب

صفحة